ثـــورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ فـي فلسطيـــن : تقييـم عسكـــــــرى

T
185 A

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Title:

The Palestinian Revolt Of 1936 - 1939 : A Military Appraisal

by

Yusuf Rajab Radii

Approved :

Prof.Samir Seikaly,Advisor
Member Of Committee

Prof.Marwan Buheiry
Member Of Committee

Prof.Mahmud Zayid
Member Of Committee

THE PALESTINIAN REVOLT OF 1936-1939:A MILITARY APPRAISAL

by

Yusuf Rajab Radii

Submitted in partial fulfillment of the requirements
of the degree of Master of Arts
in the Department of History and Archaeology of the
American University of Beirut
Beirut,Lebanon
1981

THE PALESTINIAN REVOLT OF 1936-1939 :

A MILITARY APPRAISAL

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT

Thesis Release Form

I, Yusuf Rajab Radii , authorize the American University of Beirut to supply copies of my thesis to libraries or individuals on request .

Yusuf Radii

Signature

March 17, 1981

Date

ABSTRACT

The first chapter of this thesis surveys the geography of Palestine and the strategic importance of the country as well as its adminstrative organization during the British Mandate . Chapter II deals with the pre-1936 violent disturbances,showing their lack of organization as compared with that of the Revolt itself.The causes of the Revolt are briefly analyzed in Chapter III. But the principal focus of the chapter is upon Palestinian military organizations,their composition,the pattern and character of their recruitment,their leadership,strategy and tactics,their weapons, intelligence,and logistics.Chapter IV analyzes primarily the nature and character of Arab guerrilla warfare during the period under investigation,the type and pattern of operations,and the actual military performance of Arab guerrilla units.The British response is examined in Chapter V,which,in addition,shows the organization of the British Army in Palestine,as well as its allied forces,namely, the Zionist para-military organizations and the Arab factions which collaborated with them.The chapter also examines British overall strategy and detailed tactics,counter suppressive measures,and the reasons for British success at the close of the Revolt.The closing chapter,Chapter VI,summarizes the stages through which the Palestinian Revolt passed,the Arab achievement,and the impact of the Revolt upon the future unfolding of the Palestinian issue as a whole.

محتويـــــات البحـــــث

الصفحـة

- الفصـل الأول : الموقـــــع والوضـــــع الادارى ١
- الفصـل الثاني : صدامـــات ماقبـــل الثـــورة ١٦
- الفصل الثالث : الثـورة : الأسبـــاب والتنظيـــم ٢٥
- الفصل الرابـع : حـرب العصابات العربية ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ ٤٦
- الفصل الخامس : الاجراءات البريطانيـة المضـادة للثـورة ٧٢
- الفصل السادس : خـــلاصـة وتقييـــم ١٠١
- مصادر البحـث ١٠٥

الفصل الاول

الموقع والوضع الاداري

شكلت فلسطين بالنسبة لبريطانيا ،بصفتها الدولة الاستعمارية المنتدبة أهمية كبيرة خلال فترة انتدابها على البلاد والتي أمتدت من ١٩٢٢ـ١٩٤٨ .فهي الى جانب وقوعها شرق قناة السويس وقيامها بدور المنطقة العازلة الى الشرق من مصر وفرت العديد من المزايا الاستراتيجية والاقتصادية والسياسية ،استغلتها بريطانيا أبعد استغلال نظرا لفوائدها العظيمة وعلاقتها المباشرة بها كدولة استعمارية في المنطقة .فعبر فلسطين مر خط أنابيب لشركة نفط العراق (Iraq Petroleum Company)عام ١٩٣٥ وقام بتأمين نقل البترول الخام من الموصل الى حيفا .مما كان له أبلغ الأثر في خفض أسعار المحروقات وتوفير استمرارية تزويد قواتها المنتشرة بالمنطقة وأسطولها الحربي في المتوسط بالوقود اللازم .كما قامت طائراتها التي بدأت الهبوط في مطار غزة للتزود بالوقود بربط أجزاء الامبراطورية شرقا وغربا .وفي تلك الفترة ايضا ،وعلى أثر تزايد الخطر الايطالي بعد حرب الحبشة اكتسبت مدينة حيفا وميناءها أهمية استراتيجية وأصبحت قاعدة أساسية من قواعد الاسطول البريطاني في المنطقة ،كما أن موقع فلسطين على البحر المتوسط مكن بريطانيا من حماية طرق امداد قواتها العسكرية المنتشرة في المنطقة وتجارتها وأبقى اسطولها ممسكا بزمام المبادرة ،وخاصة اذا عرفنا أن قوى اوروبية متنافسة عديدة منها على سبيل المثال فرنسا وأيطاليا قد تمركزت على شواطئه في تلك الفترة. وأخيرا سهلت عملية ربط البلاد برا بالعراق الاتصال بالخليج على أثر شق طريق أمتد من حيفا حتى بغداد عام ١٩٣٨ ،وهو العام الذى انشأت فيه شبكة ممتازة من الطرق داخل البلاد لاغراض عسكرية ،بهدف المساعدة على تثبيت سيطرتها على البلاد (١).

(١) لمزيد من التفاصيل حول أهمية موقع فلسطين أنظر :ـ

M.Cohen ,Palestine Retreat From The Mandate,The Making Of British Policy,1936-1945,(London 1978),chp.I.And,

J.Marlowe , Rebellion In Palestine,(London 1946),P.96.

Admiral H.Richmond,"Palestine & Empire Strategy"Jewish Chronicle,June 4,1937.

وسنلاحظ انه بالرغم من أن لموقع فلسطين في قلب العالم العربي مزايا عديدة الا أنه قد خلق لها في الوقت نفسه عددا من العوامل السلبية التي فرضت نفسها على مجريات الاحداث منذ زمن طويل ٠وما يهمنا هنا هو مدى تأثير هذا الموقع على الوضع العام من فلسطين خلال الفترة موضوع الدراسة (١٩٣٦-١٩٣٩) ٠ولذا أرى من المفيد عرض صورة عن موقعها وتضاريسها الطبيعية (٢) ،وطرق مواصلاتها ومدى ملائمتها لحرب العصابات٠

تقع فلسطين الى الغرب من قارة آسيا بين خطي عرض ٣٠ ،٢٩ و١٥ ،٣٣ بين خطي طول ١٥ ،٣٤ و٤٠ ،٣٥ شرقي غرينتش ٠وتتوسط مفارق الطرق بين آسيا وأفريقيا ،وأوروبا ، وتطل على البحر المتوسط والبحر الاحمر ٠كما أنها تقع في قلب منطقة النفط ٠يحدها من الغرب البحر الابيض المتوسط ،ومن الشرق سوريا والاردن بحدود طولها ٧٦ كم و ٥٨١ كم على التوالي ، ومن الشمال لبنان وسوريا حيث تبلغ طول الحدود مع لبنان ٧٩ كم ،ومن الجنوب شبه جزيرة سيناء وخليج العقبة ،حيث تبلغ طول الحدود مع مصر ٢٦٥ كيلومترا ٠

السكان:

بلغ عدد سكان فلسطين حسب الاحصاء الرسمي الذى جرى في تشرين أول "اكتوبر" ١٩٢٢، ٧٥٢،٠٤٨ منهم ٨٣،٧٩٠ يهوديا ٠وفي تشرين ثاني "نوفمبر" عام ١٩٣١ جرى احصاء آخر بلغ عدد السكان بموجبه ١٦٠٥٢،٨٧٢ منهم ١٨٠،٧٩٣ من اليهود ٠وقدر عدد السكان عام ١٩٣٧ بحوالي ١٦٤٠١،٧٩٤ منهم ٨٣٦ ، ٣٩٥ من اليهود ،وفي عام ١٩٣٩ بلغ المجموع ١٦٥٠١،٦٩٨ منهم ٤٤٥،٤٥٧ من اليهود ٠والواضح أن المعدل العالي في نسبة زيادة اليهود يعود أساسا الى النسبة الكبيرة لعدد المهاجرين الذين دخلوا البلاد ٠

T.Sallin & D.Young, eds.,The Annals Of The American Academy Of == Political And Social Science Palestine:Adecade Of Development Vol.,164,(Philadelphia 1932),pp.125-126.

(٢) عبدالوهاب كيالي ،تاريخ فلسطين الحديث،(بيروت ١٩٧٠) ،ص ١١-١٣ ٠ايضا ==

التضاريس الطبيعية :

تقدر مساحة فلسطين بـ ٢٧٥٠٢٤ كيلومترا مربعا ويبلغ طولها من الشمال الى الجنوب نحو ٤٣٠ كم ، وأما عرضها فيتراوح في الشمال بين ٥١ـ٧٠ كم ، وفي الوسط يتراوح العرض بين ٧٢ـ٩٥ كم ، فيما يتسع في الجنوب حتى يصل الى نحو ١١٧ كم .

أما من الوجهة الطبيعية فتنقسم البلاد الى المناطق التالية :ـ

١ . المنطقة الساحلية : وتشمل السهل الساحلي الممتد من رأس الناقورة حتى رفح . وتبلغ مساحتها ١٧٪ من مساحة فلسطين . ويكاد يكون الساحل مستقيما ، حيث تقل فيه الموانئ الطبيعية الصالحة لرسو السفن وخصوصا أبان العواصف والانواء . أما أهم المدن والموانئ الواقعة في المنطقة الساحلية فهي عكا ، وحيفا ، ويافا ، وغزة . ويعتبر الساحل الفلسطيني بمثابة جسر يصل آسيا بأفريقيا كما يعتبر من أشهر الممرات الحربية في التاريخ .

٢ . المنطقة الجبلية : وتؤلف المنطقة الوسطى من فلسطين وتشغل حوالي ٢٦٪ من مساحة البلاد . وتضم جبال الجليل وجبال نابلس وجبال القدس والخليل . وفي هذه المنطقة تقع معظم الاماكن المقدسة لدى المسلمين والمسيحيين واليهود : القدس ، والخليل ، وبيت لحم ، والناصرة ، ونابلس ، وصفد وطبريا .

٣ . سهل الغور : ويبلغ عرضه من ٤ـ١٥ كيلومترا ، ويغطي ١٥٪ من مساحة البلاد . ويصل انخفاضه عن سطح البحر الى حوالي ٣٩٢ مترا في منطقة البحر الميت . وتعتبر اريحا وبيسان من اشهر مدن الغور .

= محمد الشاعر ، الحرب الفدائية في فلسطين (بيروت ١٩٦٧) ص ٤٣ـ٤٧ . ايضا ،

H.Sidebotham, England & Palestine,(London 1918),pp.1-27 .

A Survey Of Palestine, Vol.,1-2 (Palestine 1946),p.103.

٤. منطقة بئر السبع والصحراء الفلسطينية : وتتكون بشكل عام من هضبة يبلغ ارتفاعها بين ٥٠٠ ـ ١٠٠٠ متر. وهي على شكل مثلث قاعدته الشمالية خط يمتد بين غزة والطرف الجنوبي من البحر الميت ، ورأسه الجنوبي العقبة. وتبلغ مساحتها ١٢٥٧٦ كيلومترا مربعا أى حوالي نصف مجمل أراضي فلسطين .

وسائل المواصلات :

أولا : الموانيء والمطارات والطرق البرية :

توفرت لفلسطين بعض الموانيء الصالحة لرسو السفن أهمها ثلاثة : حيفا ، ويافا ، وغزة ، وقد اكتسبت جميعها أهمية استراتيجية كما أسلفنا . وتوافرت فيها ايضا بعض المطارات الصالحة لهبوط الطائرات المدنية والعسكرية ، والتي لعبت دورا كبيرا على المستويين الاستراتيجي والاقتصادى وأهمها غزة والرملة. كما توفرت في فلسطين شبكة ممتازة من الطرق البرية ، اذ اخترقها طريق محاذ للساحل ، بينما سار طريق داخلي موازله من العوجة على حدود مصر حتى جسر بنات يعقوب على حدود سوريا الى جانب الكثير من الطرق العرضية والتبادلية التي وصلت غزة ببئر السبع ويافا بالقدس ، وحيفا بالناصرة وطبريا (٣).

وفي العام ١٩٣٧ ، وللضرورة الحربية ، تم انشاء طريق مباشر من جنين الى حيفا ، كما تم شق العديد من الطرق في جبال الكرمل بهدف ربط طريق حيفا ـ تل أبيب بطريق جنين ـ حيفا الرئيسي . كما تم انشاء طريق ذات أهمية استراتيجية على طول الحدود السورية. وفي الجنوب ، تم بناء طريق فرعي حيث امتد من طريق يافا ـ القدس الرئيسية حتى وادى عزون مارا بجبال القدس ومتصلا بطريق نابلس ـ القدس الرئيسية في رام الله على بعد عشرة أميال شمال القدس (٤) وقد سهلت هذه الطرق عملية تحرك القوات البريطانية ، كما شكل

---

(٣) حسن البدرى ، الحرب في أرض السلام ، (القاهرة ١٩٧٦) ، ص ٦٣ .

(4) Marlowe, op.cit, pp.225-226.

معظمها هدفا رئيسيا لعمليات الثوار ، مما أجبر السلطات البريطانية على وضع القسم الاكبر منها تحت الحراسة الدائمة لدوريات الجيش. وقد بلغ الطول الاجمالي للطرق التـــي احتاجت الى تلك الحراسة ٥٧٥ كم وهي (٥) : طريق القدس ـ يافا ، وطريق القـدس ـ نابلس ـ جنين ـ مجيدو ـ حيفا ، وطريق القدس ـ الخليل ، وطريق القدس ـ أريحـا ، وطريق نابلس ـ طولكرم ـ كفر سابا ـ تل أبيب ، وطريق نابلس ـ الناصرة ـ طبريا ، وطريـق تل أبيب ـ كفار سابا ـ تل موند ـ هرتزليا ، وطريق حيفا ـ عكا ـ الناقـورة.

السكـك الحديديـة :

ربطت معظم أنحاء فلسطين بشبكة ممتازة من السكك الحديدية ذات الخـط الضيـق (Narrow Gauge) أو العريض أحيانا (Standard Gauge) ممـا سهل عملية نقل النجدات العسكرية الى ميدان المعركة من ناحية وسهل على الثوار عمليـة النسف وبالتالي تعطيل المرور بصورة تامة من ناحية أخرى. وقد ربطت خطوط السكـك الحديدية ، الى جانب الخط الذى ربط حيفا برفح على الحدود المصرية ، والذى بلغ طولـه ٢١٢ كيلومترا ، المناطق الاخرى التالية (٦).

١. خط يافـا ـ القـدس	وطولـه ٨٧ كـم
٢. خط رأس العين ـ بتاح تكفا	وطولـه ٦٫٥ كم
٣. خط الصرفند (متفرع من خط حيفـا الرئيسي)	وطولـه ٤٫٥ كم
٤. خط بيت نبالا (متفرع من خط حيفا الرئيسي)	وطولـه ٥ كـم
٥. خط حيفـا ـ سمـخ	وطولـه ٨٨ كـم
٦. خط حيفـا ـ عكـا	وطولـه ١٨ كـم
٧. خط نابلس ـ طولكـرم	وطولـه ٣٨ كـم .

(5) HC to Dill (G.O.C.) Letter Dated 31.3.37, CO 733/333/75156/1 .

(6) Report On Palestine & Trans-Jordan 1936, Colonial No. 129, (London 1937), p.332 .

أما الخطوط التي كانت لها أهمية خاصة من الناحية الامنية ، والتي تطلبت دوريات منتظمة لحراستها فهي الخط الواصل بين يافا ـ القدس ، والخط الذى يربط حيفا برفح على الحدود المصرية (٧).

يتضح من عرضنا السريع لجغرافية فلسطين وطرق مواصلاتها ان البلاد قد احتلت ومازالت موقعا غاية في الاهمية ، وربطت بين أجزائها شبكة مترابطة من الطرق والسكك الحديدية • ورغم ان فلسطين وفرت مزايا عديدة لمن سيطر عليها لكونها تقع في قلب العالم العربي ، خلقت في الوقت نفسه عددا من العوامل السلبية التي فرضت نفسها على مجريات الاحداث منذ زمن طويل • ومايهمنا هنا هو مدى تأثير هذا الموقع على الوضع العام في فلسطين خلال الفترة موضوع الدراسة أى خلال السنوات ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ • فمن مزايا موقع فلسطين الجغرافي وفوائده سهولة الاتصال المباشر والوثيق بالشعب العربي في كل البلاد المحيطة بها وخاصة سوريا ولبنان ومصر والاردن وهذا يساعد في تسهيل عملية امداد الثورة بالمواد والمعدات اللازمة والضرورية لاستمرارها ، بالاضافة الى ردفها بالرجال المتطوعين كلما دعت الحاجة الى ذلك وعند توفر الظروف الملائمة • لقد وفرت سوريا ولبنان على سبيل المثال ، قاعدة أمينة الى حد ما لقيادة الثورة ،التي لجأت الى دمشق وبيروت على اثر ضغط السلطات البريطانية خلال فترة طويلة من الوقت وخاصة عندما كانت تضطر السلطات الفرنسية أحيانا الى غض النظر عن بعض النشاطات بسبب عدم استطاعتها وقف التأييد الجماهيرى للثورة الفلسطينية في كل من سوريا ولبنان في تلك الفترة ، ولأسباب أخرى تتعلق بالتنافس الاستعمارى للدولتين• وقد بقيت السلطات الفرنسية على تلك السياسة فيما يتعلق بنشاط قيادة الثوار في مناطق نفوذها حتى عشية الحرب العالمية الثانية ، عندما وجدت أن مصلحتها تتطلب الوقوف بثبات الى جانب بريطانيا ضد المانيا النازية وحلفائها • وأما سلبيات موقع فلسطين الجغرافي فليس من الصعب أبدا بنظرة سريعة للخريطة السياسية في تلك الفترة

---

(7) Dill's Despatch to WO ,30.10.36,WO 32/4178 .

ملا حظة حقيقة كون البلاد، قد طوقت تماما من جهاتها الاربع • فالى الشرق تمركزت القوات البريطانية وقوات الحدود الاردنية ، والى الشمال، والشمال الشرقي تمركزت القوات الفرنسية المتواجدة في سوريا ولبنان • والى الغرب يمتد البحر الابيض المتوسط بما يحمل من قطع بحرية بريطانية وغيرها • والأخطر من ذلك كله ، القوة العسكرية الصهيونية التي بدأت تنمو داخل البلاد من خلال بناء مستعمرات مسلحة اضافة الى القوات شبه العسكرية في بعض المدن، سرعان ماتحولت الى قلاع حصينة في مواجهة هجمات الثوار • وقد لعبت هذه العوامل مجتمعة ، كما سنرى ، دورا رئيسيا في ضرب الثورة الفلسطينية واخمادها في النهاية •

أما فيما يتعلق بالتضاريس الطبيعية فقد لاحظنا ان جغرافية فلسطين متنوعة فهي تشمل مناطق سهلية وجبلية وصحراوية يخترقها عدد من الانهار والوديان • وتجدر الاشارة هنا ، ونحن بصدد النظر في مدى ملائمة طبيعة البلاد جغرافيا لشن حرب عصابات ان هناك ثلاثة أنواع من القواعد التي يتم انشاءها لهذا الغرض : قواعد في الجبال ، وقواعد في السهول ، وأخرى في المناطق التي تكثر فيها الانهار والبحيرات والخلجان (٨) • ومن البديهي أن تكون قواعد المناطق الجبلية اكثر تلك المناطق ملائمة لانطلاق حرب العصابات نظرا لما توفره من أسباب الصمود لاكبر مدة ممكنة. فمناطق فلسطين الجبلية على سبيل المثال - اذا أخذناها بمعزل عن العوامل الاخرى - تلائم تماما شن مثل هذه الحرب ، نظرا لوعورة مسالكها بالنسبة للقوات النظامية ، وسهولة تحرك الثوار فيها لما توفره لهم من السواتر الطبيعية كالغابات والتلال والكهوف الامر الذى يمنحهم هامشا كبيرا من حرية المناورة • وفي نفس الوقت تحد هذه العوامل ذاتها من مناورة القطعات النظامية الكبيرة وتفرض عليها تجزئة قواتها مما يسهل على رجال العصابات مهاجمتها والتغلب عليها • وتعتبر المناطق الجبلية نموذجية للكمائن والغارات ، كما تجنب رجال العصابات مراقبة السلطات المستمرة التي تمارس عادة في المدن ، وتوفر لها

---

(8) Moe Tsetung , Six Essays On Military Affairs , (Peking 1972), p.163 .

عامل المبادرة في شن الهجمات ، كما يسهل فيها التدريب وتخزين المواد الضرورية (٩) .

أما بالنسبة للوضع الذى ساد فلسطين في تلك الفترة ، فقد شكلت المناطق الجبلية المكان الطبيعي لنمو الثورة واستمرارها، لكونها ايضا موقع وجود جماهير الفلاحين ذوى المصلحة الحقيقية في انتصارها بعد " انتزاع أملاكهم وبسبب ماقاسوه نتيجة للعدوان الصهيوني الاستيطاني على البلاد (١٠) وبذلك يمكن القول ان المنطقة الجبلية بموقعها هذا قد لعبت الدور الذى يمكن أن تقوم به قلعة تقع في وسط منطقة سهلية لما توفره من مزايا دفاعية وهجومية ملائمة لقوى صغيرة كما كانت الحال بالنسبة للثوار الفلسطينيين . ومن المؤكد ان السهول والصحارى وضفاف الأنهر والبحيرات هي أقل ملائمة من الجبال في هذا المضمار لكونها أرضا مكشوفة ، ولانعدام الموانع الطبيعية التي تشكل حماية فيها . وهذا لا يعني مطلقا استحالة خوض حرب العصابات في تلك المناطق أو استحالة انشاء قواعد موقتة فيها ، أو القيام بعمليات الاغارة ذات المسيرات الليلية لضرب أهداف قريبة وتخريب طرق المواصلات انطلاقا من قواعد في مناطق أخرى أكثر حماية وأمنا . كما أن هذا لا ينفي امكانية ممارسة حرب عصابات في المدن وخاصة تلك التي تضم تجمعات عمالية كبيرة نتيجة لازدهار الصناعات الصغيرة ونمو الحركة التجارية فيها . وسنلاحظ من خلال السطور القادمة أن بعض مدن فلسطين قد لعبت دورا مهما في بداية تنظيم الثورة وانطلاقها وأثناء مسيرتها . وفيما يتعلق بالمواصلات فقد وفرت شبكة الطرق المتشعبة التي شقتها السلطات البريطانية لاغراضها العسكرية قسطا كبيرا من حرية الحركة للقوات البريطانية في كافة مراحل القتال . ففي المرحلة الاولى من الثورة حين أخذت القوات البريطانية جانب الدفاع ، ساعد وجود هذه الطرق على الحد من فاعلية عمليات الثوار وخاصة تلك التي نفذت بالقرب من هذه الطرق .

---

(٩) الشاعر ، المصدر السابق ، ص ٤٥ .

(10) D.Hirst ,The Gun And The Olive Branch ,(London 1977)p.81

كما سهلت هذه الطرق عملية تطويق الثوار ومطاردتهم في مرحلة لاحقة عندما تبنت القوات البريطانية استراتيجية الهجوم لما وفرته لها من ديناميكية وسرعة، في تحريك قطعاتها • كما أن هناك عاملا آخر جدير بالاهتمام الا وهو المطارات والموانئ والسكك الحديدية التي سهلت عملية نقل قوات ضخمة سواء من معسكرات الجيش الى مسرح العمليات ، أو من أماكن خارج فلسطين الى داخلها بعد تصاعد الثورة وانتشارها في كافة أنحاء البلاد •

وبذلك نرى أنه من الأهمية بمكان عدم أخذ عامل واحد فقط بمعزل عن العوامل الاخرى المؤثرة في وضع الحرب اجمالا والتي تقرر مجتمعة نتيجتها في النهاية • فعندما نؤكد على أهمية المناطق الجبلية كميدان نموذجي لحرب العصابات ، لا يعني أبدا أنها وحدها تقرر نتيجة الحرب • فهناك عوامل عديدة ينبغي أخذها في الحسبان أهمها استراتيجية الخصم، وامكانية واستراتيجية الثورة وامكاناتها وتحديد ميزان قوى الطرفين، بعد دراسة كافة الاحتمالات • وهذا مايقرر بالتالي فرص نجاح أو فشل احدى القوتين المتخاصمتين في النهاية •

الادارة :

عندما اندلعت الثورة العربية الكبرى في فلسطين في العام ١٩٣٦ كان قد انقضى على الوجود البريطاني في تلك البلاد ماينا هز العقدين من الزمان • استطاعت بريطانيا خلالهما بسط سيطرتها بشكل مباشر وفورى على كل بقعة من بقاعها • فبالمقارنة على سبيل المثال — بالحكم البريطاني المقيد والسطحي في مصر والعراق ، ارتكز الحكم البريطاني في فلسطين على جهاز ادارى واسع ومتكامل وقوى •

فقد خضعت الادارة في فلسطين لسلطة المندوب السامي البريطاني من خلال قرارات يصدرها بعد التشاور مع وزير المستعمرات • وقد تأثر هذا التنظيم الادارى باعتبار

أساسي واحد وهو العمل على تحقيق الحد الأقصى من السيطرة المدنية والعسكرية البريطانية في كافة أنحاء البلاد . وقد صدر القرار الأول في هذا الشأن عن السير هربرت صموئيل (H. Samuel) أول مندوب سامي بريطاني في فلسطين عام ١٩٢٢ . وقسمت البلاد بموجبه الى لوائين : اللواء الشمالي (Northern District) ومركزه مدينة حيفا ، واللواء الجنوبي (Southern District) ومركزه مدينة القدس . وقد ضم اللواء الشمالي عدد من الأقضية (Sub-Districts) وما تبعها من قرى وهي أقضية : حيفا ، وعكا ، والناصرة ، وطبريا ، وصفد ، ونابلس ، وجنين ، وطولكرم ، وبيسان . أما اللواء الجنوبي فقد تبعته الأقضية التالية وقراها : القدس ، ورام الله ، وبيت لحم ، وأريحا ، ويافا ، والرملة ، وغزة ، والخليل ، وبئر السبع (١١)

وقد تولى ادارة كل من اللوائين المذكورين حاكم بريطاني يطلق عليه لقب حاكم اللواء (District Commissioner) يساعده بعض الموظفين البريطانيين والعرب واليهود . ويطلق على الموظف البريطاني لقب مساعد حاكم اللواء (Assistant District Commissioner) وعلى الموظف الفلسطيني قائمقام وهو الذي يتولى عادة أمور القضاء ، ويتلقى تعليماته من قبل الحاكم البريطاني أو مساعده . كما أنه يشرف على البلدان والقرى من خلال مجالسها المحلية، والقروية والمختاير الذين يديرون أمورها معظم الأحيان . والجدير بالملاحظة أن المختار مثله مثل المجالس البلدية والمحلية يتم انتخابه من قبل الأهالي ولكن طرده من عمله يتم بأمر من حاكم اللواء (١٢).

أما واجبات حاكم اللواء فقد تلخصت في الاشراف على حفظ النظام وجباية الضرائب واصدار التعليمات للسلطات المحلية . ونعم الحاكم ومساعده بسلطات ادارية وقضائية

---

(11) N. Bentwitch , Legislation Of Palestine 1918-1925, V.2, (Alexandria 1926) pp. 436-437 .

(١٢) عمر ابو النصر ، جهاد فلسطين العربية ، (بيروت ١٩٣٦) ص ١٨ . ايضا
N. Bentwitch , England In Palestine , (London 1932) p. 245

موفورة . فهو الذى يفرض الغرامات عملا بقانون العقوبات المشترك على القرى العربية ، ويتولى أيضا فرض العقوبات على المتهمين بتهديد الأمن العام (١٣).

وقد طرأ تعديل على هذا التنظيم عام ١٩٣٣ من قبل السير ارثر واكهوب (A. Wauchope) المندوب السامي في تلك الفترة بهدف احكام السيطرة على البلاد ، والذى أصدر منشورا قسم البلاد بموجبه الى ثلاثة ألوية (١٤) :

أولا : لواء القدس : ومركزه المدينة المقدسة واشتمل على أقضية وقرى بيت لحم ، والخليل ، وأريحا ، والقدس ، ورام الله .

ثانيا : لواء الشمال : ومركزه حيفا واشتمل على الأقضية التالية وقراها : عكا ، وبيسان ، وحيفا ، وجنين ، ونابلس ، والناصرة ، وصفد ، وطبريا ، وطولكرم .

ثالثا : لواء الجنوب : وقد اشتمل على الأقضية التالية وقراها :بئر السبع ، وغزة ، ويافا ، والرملة .

وفي عام ١٩٣٧ أعيد النظر في هذا التقسيم بحيث أضيف لواء رابع بعد تقسيم اللواء الشمالي الى لوائين على اثر مقتل حاكم اللواء لويس أندروز (Lewis Andrews) في خريف ذلك العام وسمي بلواء الجليل الذى تألف من أقضية الناصرة ، وعكا ، وصفد ، وطبريا بعد فصلها عن اللواء الشمالي (١٥).

وقد لجأت الحكومة مرارا الى وضع هذه الألوية تحت امرة القيادة العسكرية خلال ثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ . وقد نفذ آخر تلك الاجراءات في ١٨ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٨ بعد اعلان الاحكام العرفية في البلاد حيث تولى السلطة فيها ضابط برتبة

---

(١٣) ابو النصر ، المصدر السابق ، ص ١٨٧ .

(١٤) روبرت درايتون ، قوانين فلسطين ١٩٣٣ ، المجلد الاول ، (القدس ١٩٣٦) ص ١٦٥ـ١٧٧

(15) HC to Colonial Secretary, Letter Dated 24.7.37, CO733/334/75163/3.

بريجادير (Brigadier) وهم غالبا قادة الألوية العسكرية ، كما صدر في الوقت نفسه قرارا بتعيين حكامها المدنيين مستشارين سياسيين لهم (١٦).

وفي العام ١٩٣٩ أصدر السير هارولد الفرد مكمايكل (H.A.MacMichael) المندوب السامي لفلسطين ، وبعد أخذ موافقة وزير المستعمرات منشورا قسمت فلسطين بموجبه الى ستة ألوية وهي : (١٧)

١. لواء الجليل : ويشمل على أقضية عكا ، وبيسان ، والناصرة ، وصفد ، وطبريا ، وتكون قاعدة اللواء الناصرة.

٢. لواء حيفا : ويشتمل على قضاء حيفا ، وتكون قاعدة اللواء حيفا .

٣. لواء السامرة : ويشتمل على أقضية جنين ، ونابلس ، وطولكرم ، وتكون قاعدة اللواء نابلس .

٤. لواء القدس : ويشتمل على أقضية بيت لحم ، والخليل ، وأريحا ، والقدس ، ورام الله ، وتكون قاعدة اللواء القدس .

٥. لواء اللد : ويشتمل على قضاءى يافا ، والرملة ، وتكون قاعدة اللواء يافا .

٦. لواء غزة : ويشتمل على قضاءى بئر السبع ، وغزة ، وتكون قاعدة اللواء غزة .

هذا وقد بقي هذا التقسيم معمولا به حتى نهاية فترة الانتداب عام ١٩٤٨ .

تنظيم الادارة :

قام المندوب السامي البريطاني بمهمة تمثيل وزير المستعمرات البريطاني في ادارة

---

(16) Marlowe ,op.cit., p.205 .

(١٧) الوقائع الفلسطينية ، العدد ٩٧٤ ، كانون أول ١٩٣٩.

البلاد التي ينتدب للعمل فيها . فهو بمثابة رأس الادارة ، والحاكم الاعلى ، والقائد العام للقوات العسكرية ، كما تصدر عنه كافة التشريعات ، واليه ترجع مهمة تسيير الأمور . وأما صلاحياته بموجب أنظمة وقوانين فلسطين فهي متعددة . فهو صاحب قرار تنظيم ادارة البلاد بعد موافقة وزير المستعمرات كما أسلفنا . كما حق له التصرف في الأراضي العامة ، والمناجم والمعادن على اختلاف أنواعها ، وتعيين من يشاء في الوظائف المدنية ، وكذلك طرد أو الاستغناء عن الموظف الذى لا ينفذ سياسته . ومن صلاحياته أيضا العفو عن المجرمين أو تثبيت الاحكام ضدهم ، وفرض الغرامات أو تخفيضها ، أو تأجيل تنفيذها . كما يستطيع نفي وابعاد من يشاء من مواطني البلاد بعد التشاور مع وزارة المستعمرات . ومن المفترض أن يعاونه في مهماته مجلسان ليس لهما كبير أهمية أحدهما تنفيذى والآخر استشارى . وهما لا يملكان الا حق المشورة ، والتي غالبا مايعمل المندوب السامي بغض النظر عنها . ويتألف المجلس التنفيذى من السكرتير العام ، والنائب العام ومدير المالية ، ويجتمع عادة مرة كل أسبوع . ويتألف المجلس الاستشارى من هؤلاء ورؤساء دوائر الهجرة والمعارف والصحة ، والاشغال العامة والجمارك والتجارة والبوليس والسجون وسكك الحديد والزراعة ، وأى موظف يرى المندوب السامي مشاركته ضرورية وكلهم بريطانيون (١٨) . ويتمتع السكرتير العام من بين هؤلاء الموظفين ، بصلاحيات واسعة ، فهو المرجع الأعلى بعد المندوب السامي لجميع موظفي الحكومة . وعليهم الاتصال به أولا لتلقي التعليمات فيما يتعلق بدوائرهم . كما يقوم بإبداء النصيحة والمشورة للمندوب السامي في المسائل الحكومية والأمور ذات الأهمية المتعلقة بالاشخاص والطوائف المختلفة ، ولذلك يتوجب عليه أن يكون على اتصال وثيق بادارات الألوية المختلفة ، فهو بمثابة همزة الوصل بين هذه الدوائر والمندوب السامي بحيث يمكن

---

(١٨) أبو النصر ، المصدر السابق ، ص ١٨١ - ١٨٢ . ايضا ،
Bentwitch ,England..,p.240 .

اعتباره العصب الحساس في جسم حكومة فلسطين (١٩) .

وأرى التأكيد على أن هناك هدفا أساسيا لتلك التقسيمات الادارية والمهمات التي أوكلت للموظفين البريطانيين الذين تولوا ادارتها وهو احكام القبضة على كل شبر من البلاد . ولكن النجاح لم يكن حليف الادارة المدنية في بعض الاحيان ، مما جعل ادارة البلاد تتحول بالضرورة الى السلطات العسكرية التي تتولى ادارة البلاد بموجب قانون الأحكام العرفية ، تماما كما حدث ابان الثورة العربية الكبرى في فلسطين .

البوليس :

تولى البوليس واجبات الأمن العام في البلاد . وقد تألف من عدد من الرجال الانجليز والعرب واليهود . وتولى ادارتهم مدير البوليس العام (Police Inspector General) . وهو بريطاني الجنسية ومركزه القدس ، يساعده في عمله عدد من الضباط الانجليز . أما ادارة البوليس في الألوية فهي من مهمات مدير بوليس اللواء يساعده عدد من الضباط الانجليز والعرب واليهود . ويتولى ضباط انجليز ادارة مراكز البوليس في المراكز الصغيرة الأخرى .

وقد عومل الضباط الانجليز معاملة مميزة عن زملائهم العرب وخاصة فيما يتعلق بالناحية الحياتية . ففي حين تقاضى رجل البوليس العربي ٦ جنيهات شهريا ، تقاضى زميله الانجليزي ستة عشر جنيها بالاضافة الى امتيازات أخرى كالسكن واللباس والطعام الذي تكفلت به الحكومة (٢٠) .

وقد بلغ تعداد البوليس عام ١٩٣٦ أي عشية الثورة ، ٣٠٠٠ رجل منهم ٨٥٠ بريطانيا والبقية من العرب واليهود . وقد تراوح تسليحهم بين المسدسات والبنادق والرشاشات (٢١) . وقد ضمت قيادة البوليس جهازا للمخابرات غطى كافة أنحاء البلاد

---

(١٩) ابو النصر ، المصدر السابق ، ص ١٨٥ . ايضا ،
Bentwitch , England..,p.247 .

(٢٠) ابو النصر ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

(21) Colonial Secretary to HC,Cable Dated 19.6.36, CO733/310/75528 Part 3.

سمي " دائرة التحرى " (C.I.D) . كما لجأت القيادة الى تجنيد قـــوات اضافية لدعم قوة البوليس ، من اليهود، وخاصة عند حدوث اضطرابات . وقد أطلقـــت عليها أسماء مختلفة مثل : " البوليس الاضافي " (Auxiliary Police)، والبوليس الاضافي المؤقت (The Temporary Additional Police)، وبوليس حمايـــة السكك الحديدية (The Railway Protection Police)، وبوليـــــس المستعمرات اليهودية ، بالاضافة الى الخفراء (Gaffirs) الذين أوكلت لهم مهمة حراسة المؤسسات اليهودية ليلا (٢٢).

(22) T. Bowden ,The Breakdown Of Public Security The Case Of Ireland 1916-1921. And Palestine 1936-1939 ,(London 1977), pp. 155-161 .

الفصل الثاني

صدامات ما قبل الثورة

أعتبر تقرير لجنة بيل (Peel Commission Report)أن ثورة ١٩٣٦ في فلسطين لا تختلف عن الصدامات التي حدثت في فلسطين في الفترة الواقعة بين ١٩٢٠-١٩٣٦ من حيث كونها اضطرابات داخلية وان كانت على حد تعبير التقرير المذكور أشد خطرا وأطول أجلا منها (١) .وفي اعتقادي أن هذا الافتراض يحتوي على الكثير من المغالطة فلا يمكن بأي شكل من الأشكال مساواة صدامات عفوية حدثت دون ترتيب أو تنظيم معين (٢) بثورة شعبية استمرت وبدرجات متفاوته من العنف والتنظيم من نيسان (ابريل)١٩٣٦ حتى عشية الحرب العالمية الثانية. وحتى تكون الصورة أكثر وضوحا أرى من المفيد العودة الى الوراء والقاء بعض الضوء على تلك الصدامات التي نتجت كلها بسبب استمرار بريطانية في العمل على بناء الوطن القومي اليهودي واصرارها في الوقت نفسه على رفض مطالب العرب الوطنية المشروعة.

بدأ السكان العرب في فلسطين يترجمون مخاوفهم من خلال تشكيل جمعيات اسلامية مسيحية تزعمها كبار العائلات لتتولى رعاية مصالح أهل البلاد العرب والدفاع عن حقوقهم في وجه المطامع الصهيونية والمطالبة بالغاء وعد بلفور (٣) في حين لجأت قطاعات من الفلاحين أساسا الى أسلوب العنف لمواجهة المشاريع الصهيونية التي بدأت تهدد كيانهم من أساسه .ومن أمثلة هذه الحوادث هجوم جماعات وطنية في آذار (مارس)١٩٢٠ على مستعمرتي تل حي والمطلة الصهيونيتين في منطقة الحولة مما أسفر عن مقتل الكابتن الصهيوني جوزيف ترومبلدور وستة يهود آخرين (٤) وهجومين آخرين في نيسان (ابريل)قامت بهما القبائل البدوية عبر الاردن على مستعمرات يهودية محاطة بأسلاك ومسلحة ببنادق انجليزية .كما هوجمت الحاميات البريطانية في سمخ ويسان وأسقطت طائرة عسكرية وأدى ذلك كله الى انقطاع سير القطارات بين فلسطين

(1) Palestine Royal Commission Report,CMD 5479,London 1937,p.110 .

(٢) باستثناء تلك التي حدثت في سنوات ١٩٣٣، ١٩٣٥ .

(٣) عبدالقادر ياسين ،كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨، (بيروت ١٩٧٥) ،ص ٣٦ .

(٤) كيالي ،المصدر السابق ،ص ١٤٧ .

وسوريا وتعطلت المواصلات البرقية والهاتفية ، وأرسلت الحكومة البريطانية نجدات بالقطارات وقصفت المهاجمين بالطائرات (٥) .

وقد حصلت الانتفاضة الجماهيرية الاولى ضد اليهود في القدس في ٤ نيسان (ابريل) ١٩٢٠ وأستمرت حتى العاشر منه ، حين هاجمهم العرب نتيجة لاستفزازهم للمشاعر العربية الملتهبة وبسبب السياسة البريطانية الموالية للصهيونية فيما يتعلق بانشاء الوطن القومي اليهودي ، وذلك أثناء احتفالات المسلمين بموسم النبي موسى ، الذي صادف وقوعه في فترة احتفالات اليهود بعيد الفصح (٦) . وساهمت الخطب الحماسية التي ألقاها بعض الزعماء العرب في الهاب المشاعر بحيث كان أقل احتكاك كافيا لاحداث الانفجار (٧) . وقد قتل في هذه الصدامات خمسة من اليهود كما أصيب ١٨ منهم بجروح خطيرة و ١٩٣ آخرين بجروح بسيطة ، تسببت عن هجمات العرب الفلسطينيين بالخناجر والعصي ، والحجارة . كما جرح سبعة جنود بريطانيين على أيدي المتظاهرين العرب . وقد أصيب من العرب ١٢٨ شخصا أستشهد منهم أربعة نتيجة لاطلاق الرصاص من قبل القوات البريطانية على المتظاهرين (٨) .

وقد قاد التصميم العنيد من جانب الحكومة البريطانية على رفض المطالب الوطنية الى تأجج نار العداء وانتشارها في كافة مدن فلسطين بحيث بات الوضع على وشك الانفجار مرة أخرى ، ولم يبق الا انتظار الفرصة المناسبة .

ففي صباح اليوم الأول من أيار (مايو) ١٩٢١ ، اصطدمت مظاهرة صهيونية بتظاهرة أخرى شيوعية في تل أبيب ، كان من نتيجتها أن أجبر الشيوعيون على الخروج من المدينة والالتجاء الى حي المنشية العربي اليهودي المشترك في يافا . وعندما حاول افراد البوليس تفريقهم ، ثارت اعمال عنف عارمة ، سرعان ما عمت انباءها المدينة بأسرها . ونتيجة لالتجاء الشيوعيين .

---

(٥) خيرية قاسمية ، "تطور القضية الفلسطينية في عهد الحكومة العربية في دمشق" ، شؤون فلسطينية ، آذار (مارس) (١٩٧١) العدد الاول ، ص ٦٨ .

(٦) عيسى السفري ، فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ، (يافا ١٩٣٧) .

Marlowe, op.cit., p.115.

(٧) كيالي ، المصدر السابق ، ص ١٤٨ .

(٨) كيالي ، المصدر السابق ، ص ١٥١ .

الى حي المنشية انتشرت شائعات بقيام اليهود بالهجوم على الحي المذكور مما أثار غضبة العرب فتوالت الاشتباكات بين الطرفين (٩). وامتدت الى عدد من قرى فلسطين والمستوطنات اليهودية كان أهمها الهجوم على مستوطنة بتاح تكفا، في ٥ آيار (مايو) وكذلك على مستوطنة الخضيرة غرب طولكرم في اليوم التالي. واستمرت الصدامات التي أتت بعد فترة قصيرة من قيام عائلة سرسق ببيع ٥٠ ألف فدان لليهود وطرد ٨٠٠٠ مزارع من بيوتهم (١٠) طوال الاسبوعين الاولين من آيار. وقد بلغ عدد الاصابات فيها نحو ٩٥ قتيلا، بينهم ٤٨ يهوديا أما الجرحى فقد بلغ عددهم ٢١٩ جريحا بينهم ٧٣ جريحا عربيا والباقي من اليهود وذلك حسب تقرير لجنة هيكرافت (Haycraft) التي تشكلت للبحث في أسباب تلك الصدامات (١١). أما الاسباب الرئيسية لتلك الصدامات فقد عزتها اللجنة المذكورة لموقف العرب المعادي لليهود والناجم عن أسباب سياسية واقتصادية مرتبطة أساسا بالهجرة اليهودية، وانشاء الوطن القومي اليهودي (١٢).

اتصف العمل الوطني خلال الفترة ١٩٢٢–١٩٢٩ بالركود بشكل عام اذا استثنينا المظاهرات التي قامت بها الجماهير الفلسطينية ضد زيارة بلفور عام ١٩٢٥ ومظاهرات التأييد للثورة السورية في اعوام ١٩٢٥– ١٩٢٧ (١٣).

وكان وراء هذا الركود جملة أسباب محلية وذاتية أهمها : ضعف وتردد قيادة الحركة الوطنية وعجز العناصر البرجوازية في قيادتها نتيجة الضعف الاقتصادي وعدم تكافؤ القوى بين الاستعمار البريطاني والعدو الصهيوني من جهة والحركة الوطنية من جهة أخرى (١٤).

ولكن ما أن حل شهر آب من عام ١٩٢٩ حتى أظهرت الجماهير الفلسطينية مجددا عزما أكبر على مواصلة النضال ضد البريطانيين والصهاينة بنفس أسلوب العنف الذي حدث في يافا قبل ثماني سنوات (١٥) وللأسباب الاساسية نفسها. وقد كان السبب المباشر هذه

---

(٩) عادل حسن غنيم، "خمسون عاما على اضطرابات يافا"، الكاتب (١١) ٢٣ (١٩٧١) ص ١٦٧–١٨٠.

(10) Weinstock, N., Zionism : False Messiah, (London 1979), p. 116.

(11) Palestine Disturbances in May 1921: Report of the Commission of Inquiry, London 1921, p.60.

(12) Palestine Disturbances in May 1921: Report Of The Commission Of Inquiry, London 1921, p.59.

(13) Weinstock, op.cit., p.116.

(١٤) عبد القادر ياسين، المصدر السابق ص ٦٥.

(15) Hirst, op.cit., p.62.

المزعومة باتهام العرب لليهود بمحاولة تدمير الجامع الاقصى وبناء الهيكل محله. وهنا أدخل العامل الديني في الصراع مما يدل على أزدياد نفوذ المفتي داخل البلاد. ونتيجة لذلك حدثت هبة البراق في شهر آب (أغسطس) من عام ١٩٢٩ وتخللتها اشتباكات واسعة في كل من القدس والخليل. وقد قتل على أثرها ١٣٣ يهوديا، ٦٤ منهم في مدينة الخليل وحدها. أما خسائر العرب فقد بلغت ١١٦ قتيلا و٢٣٢ جريحا بسبب عمليات انتقامية قام بها اليهود أما معظم الاصابات الأخرى فقد حدثت على أيدي الجنود البريطانيين (١٦).

وقد حصل تقدم في أساليب المقاومة العربية حين نظم احمد طاقس جماعة الكف الأخضر في العام ١٩٢٩ بهدف القيام بعمليات هجومية ضد اليهود والبريطانيين. وقد نجحت جماعته في شن بعض الهجمات في صفد ثم ما لبثت أن توقف نشاطها في العام ١٩٣٠ بسبب انعدام التنظيم وحملات البوليس المركزة التي أدت الى اعتقال معظم اعضائها (١٧).

وفي عام ١٩٣١ نظم عبدالقادر الحسيني في القدس جماعة الجهاد المقدس (Holy War) حيث استمرت بصورة سرية حتى عام ١٩٣٦ حيث شاركت في الثورة الى جانب الفصائل الاخرى. وقد انتمى معظم اعضائها اصلا الى منظمة الكشافة العرب (١٨). وقد حدث تطور جديد على النظرة الى الصراع في العام ١٩٣٣ عندما شعر العرب بخطورة الوضع نتيجة لارتفاع معدل الهجرة اليهودية الى فلسطين بسبب الاضطهاد النازي لليهود في اوروبا، ونمو الشعور الوطني لدى العرب الفلسطينيين. وجاء التعبير عن ذلك بقيامهم بمظاهرات منظمة لأول مرة وفي يوم واحد في كافة مدن فلسطين يوم ٢٥ أيلول (سبتمبر) كانت موجهة أساسا ضد الحكومة البريطانية مما أدى الى حدوث أشتباكات عنيفة مع البوليس (١٩). وقد اعترف المندوب السامي البريطاني بذلك قائلا "أن الانتفاضة التي بدأت في القدس ثم أمتدت الى كل من

(16) Bethell, N., The Palestine Triangle: The Struggle For The Holy Land, (New York 1979).

(17) Poruth, Y., The Palestinian Arab National Movement: From Riots To Rebellion 1929-1939, (London 1977), p.131.

(١٨) الخوري، فلسطين عبر ستين عاما، الجزء الاول (بيروت ١٩٧٢) ص ١٥١ - ١٥٢.

(19) Weinstock, op.cit., p.121.

يافا وحيفا كانت موجهة أساسا ضد الاستعمار البريطاني اذ لم تقع اعتداءات ضد اليهود (٢٠).

يبدو من خلال ما تقدم أن معظم الصدامات التي حدثت في فلسطين قبل العام ١٩٣٦ قد غلب عليها طابع الصدامات المتفرقة والمبعثرة والتي افتقدت جميعها الى التخطيط الدقيق والتنظيم المحكم، وهذا ما جعلها تنتهي بسرعة بعكس ما حدث في الاعوام ١٩٣٦ـ ١٩٣٩ والتي وضع اساسها الشيخ عز الدين القسام في أواخر عام ١٩٣٥.

حدثت في أواخر عام ١٩٣٥ على أرض فلسطين تطورات مهمة لعبت دورا مؤثرا في مسيرة النضال الفلسطيني، وكان أولها اجتماع الاحزاب العربية الفلسطينية في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥ وتقديمها مذكرة للمندوب السامي البريطاني طالبت فيها بحكومة نيابية، ووقف الهجرة اليهودية، ومنع بيع الاراضي، وعدت هذه المطالب برنامج الحركة الوطنية الفلسطينية خلال ثورة ١٩٣٦ـ ١٩٣٩. الا أن المندوب السامي رفضها جملة وتفصيلا. والتطور الثاني كان اكتشاف شحنة كبيرة من الاسلحة والذخائر مهربة داخل براميل ومرسلة للصهاينة عن طريق ميناء يافا، مما نشر الزعر بين العرب الفلسطينيين، وزادت من كرههم لليهود وعدم ثقتهم في السياسة البريطانية، وأعربت البلاد يوم ٢٦ تشرين الأول عام ١٩٣٥ مطالبة بالتسلح والاستعداد للقتال. وأما التطور الثالث وهو الأكثر أهمية فكان ظهور الشيخ عز الدين القسام على رأس مجموعة من الثوار في تلال جنين معلنا بذلك عن رفضه لأساليب النضال التقليدية السلبية والبدء بخوض الكفاح المسلح ضد الاحتلال البريطاني (٢١). وبذلك يكون العمل الوطني قد بدأ يميل الى تحقيق الحد الأدنى من التنظيم باتباعه أساليب تختلف في تخطيطها وممارستها وتأثيرها عن الاساليب السابقة.

ولد الشيخ عز الدين القسام في جبلة بسوريا عام ١٨٧١ حسب أحد المصادر (٢٢) أو

---

(٢٠) كيالي، المصدر السابق، ص ٢٨٢.

(21) Peirse's(Air Officer Commanding)Despatch to Air Ministry, on Disturbances In Palestine:19th April to 14th September 1936,15.10.36,WO 32/4177.

(٢٢) صبحي ياسين، الثورة العربية الكبرى في فلسطين، (القاهرة ١٩٥٩)، ص ١٩.

١٨٨٠ حسب مصدر آخر (٢٣) و ١٨٨٢ حسب مصدر ثالث (٢٤) وهو في تقديري الأقرب الى الصواب، درس في الازهر، ثم عاد الى بلده وعكف على التدريس في جامع السلطان ابراهيم بن أدهم، ولم يكتف بنشر العلم بل شارك في ثورة جبل العلويين ضد الفرنسيين شمال سوريا في اعوام ١٩١٩ و ١٩٢٠ حيث حكم عليه بالاعدام بعد فشل الثورة ومن ثم هرب الى فلسطين وأستقر بمدينة حيفا وعمل أماما لمسجد الاستقلال فيها منذ عام ١٩٢١ (٢٥)، كما أسس مدرسة ليلية لتعليم الاميين من العرب (٢٦). ومن خلال عمله في المسجد وزياراته العديده لقرى الشمال بدأ يدعو للقتال ضد البريطانيين والصهيونيين. كما أستصدر فتوى من قاضي دمشق الشرعي، الشيخ بدر الدين التاجي الحسيني تحلل القتال ضد الانجليز واليهود لمنع اقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. وقد التف حوله الكثير من المؤيدين من الشيوخ والشباب، وكسب شعبية كبيرة وخاصة أثناء هبّة البراق عام ١٩٢٩ (٢٧). وقد انغمس القسام في السياسة الوطنية بطريقة مباشرة من خلال نشاطه في جمعية الشباب المسلمين في حيفا (YMMA) التي شارك في تأسيسها مع رشيد الحاج ابراهيم عام ١٩٢٨ والتي أصبح رئيسها فيما بعد في عام ١٩٣٤ (٢٨). وقد استطاع بعد ثلاث سنوات من الدراسة والاعداد تشكيل ١٢ حلقة تعمل كل منها منفصلة تماما عن الاخرى حفاظا على السرية. وتتكون كل واحدة منها من خمسة اعضاء معظمهم من عمال البناء والسكك الحديدية وتفريغ السفن وعمال يدويين وباعة صغار، ذوى أصول فلاحية، طردوا من ارضهم أو غادروها لعدم تمكنهم من دفع الضرائب الباهظة التي فرضتها سلطات الاحتلال. وشكلوا حول حيفا حزاما من أكواخ الصفيح ولم تكن حياتهم تخلو من البؤس والتخلف وانخفاض الاجور (٢٩)

(23) Porath , op.cit., p.133.

(24) A.Schleifer,"The Life And Thought Of Izz-ID-Din Al Qassam" The Islamic Quarterly,23(1980)No2.

(25) Ibid., p.67.

(٢٦) عادل غنيم، "الشيخ عزالدين القسام"، شؤون فلسطينية، العدد (٦) ك١ (يناير) ١٩٧٢، ص ٢٨١.

(27) Tegart Papers,Box I,File 3(c)DS,126.2,Middle East Centre, St.Antony's College,Oxford.

(28) Porath, op.cit., p.133.

(29) Schleifer,op.cit.,p.70. ايضا عبدالقادر ياسين، المصدر السابق، ص ١٥٠.

وقد تركز معظم العمال في تلك الفترة في حيفا لكونها ميناءا رئيسيا أزدهرت بسبب وجود محطة سكة حديد ومصفاة البترول التابعة لشركة النفط العراقية (I.P.C.)التي قامت بتكرير البترول الخام الذى قام بنقله خط ال (I.P.C.)من العراق والتي بلغت الكمية المصدرة منه ٣٥٩٠٣ مليون طن عام ١٩٣٦ ،وكذلك لنمو حركة البناء والعمران فيها (٣٠) وقربها من لبنان ودمشق كما كان يعيش فيها أناس من جنسيات متعددة مما جعلها قاعدة من قواعد التهويد وأصبغ عليها حساسية خاصة (٣١).

وقد أتسع تنظيم القسام مع تزايد السخط الشعبي والنقمة في المنطقة الشمالية على أثر اقدام سلطات الانتداب على طرد سكان ٢٢ قرية من قرى مرج ابن عامر ومصادرة أراضي وادى الحوارث والحولة وغيرها (٣٢) حيث قام اتباعه بتنفيذ عمليات عدة ضد اليهود والمستوطنات اليهودية في عامي ١٩٣١ و ١٩٣٢ (٣٣) . وقد برمج القسام ثورته في أربع مراحل :

١ ـ الاعداد النفسي ،ونشر روح الثورة.

٢ ـ انشاء حلقات سرية .

٣ ـ تشكيل لجان قياديه لجمع التبرعات ولشراء السلاح .

٤ ـ ثم الثورة المسلحة(٣٤).

وقد تراوح عدد أعضاء التنظيم المعروفين بين خمسين ومائتين ،خرج خمسة وعشرون منهم الى احراش قرية يعبد في قضاء جنين ،وأخذوا يركزون أنفسهم ،ويدعون أخوانهم للا نضمام اليهم ،وحمل السلاح في وجه البريطانيين والصهاينة (٣٥) ،وتدريب

(30) Barbour, N., Nisi Dominus,(Beirut 1969) ايضا
Palestine,1937,Vol.XII,(London 1937)p.206.

(٣١) غنيم ،المصدر السابق ،ص ١٨٢ .

(٣٢) عبدالقادر ياسين ،المصدر السابق ،ص ١٤٩ .

(33) Tegart Papers.op.cit.

(٣٤) صبحي ياسين ،الثورة العربية ـ ، ص٢٢ .

(35) Schleifer,op.cit.,p.75. ايضا
غسان كنفاني ،ثورة ١٩٣٦ـ١٩٣٩ في فلسطين ،خلفيات وتفاصيل ،وتحاليل ،
شؤون فلسطينية ،١٦٧٢ العدد السادس ،ص ٦٢ .

الفلاحين وتشكيل ما يعرف اليوم بالبؤرة الثورية،في جبال الجليل الوعرة،ذات المواصلات الصعبة(٣٦) .وهكذا اعتمد القسام على المدينة في البداية ليقيم فيها تنظيمه حيث السكان الأكثر تعليما والأشد كثافة وأستعدادا للتنظيم منهم في الريف وحيث الصراع السياسي الاكثر وضوحا واحتداما .وعندما قرر مباشرة العمل المسلح انتقل الى الريف حيث تضعف قبضة السلطة الاستعمارية ويتوفر الأمان في الجبال وأعماق الغابات.وبذلك يكون قد حدد سلفا خط ثورة ٣٦ـ١٩٣٩ في فلسطين حيث لا خيار سوى ممارسة الكفاح المسلح لتحقيق اهدافها . ولكن خطأ عسكريا عجّل في استشهاد القسام فقد حدث أن قتل أحد القساميين شرطيا صهيونيا مما أدى الى كشف موقع الثوار وأفقدهم عنصر المباغته ـ ثم وقع اشتباك آخر يوم ١٥ تشرين الثاني ،أستشهد على أثره أحد رفاق القسام .وفي يوم ١٨ تشرين الثاني تحركت قوات عسكرية قدرت بكتيبة بريطانية وطوقت المنطقة التي وقعت فيها احداث ١٤و ١٥ تشرين الثاني ووقع على الأثر اشتباك غير متكافئ بين الطرفين يوم ١٩ تشرين الثاني ١٩٣٥ أستشهد بنتيجته الشيخ القسام ورفيقين له وجرح ثلاثة وأسر ثلاثة آخرون فيما اختفى الباقون في الجبال (٣٧) .وهكذا أستشهد القسام قبل اكمال الاسبوع الاول من تمركزه في الجبال على أن حركته هذه،كانت حسب تعبير عبدالقادر ياسين "البروفة" الأخيرة لثورة ١٩٣٦ الوطنية الفلسطينية المسلحة والتي أمتدت حتى أواخر عام ١٩٣٩ .فاستشهاد القسام زاد المشاعر الوطنية التهابا وقدم البديل الثوري للجماهير الشعبية عن اساليب النضال السلبية (مذكرات عرائض استرحام،مؤتمرات،وفود الى المندوب السامي بالقدس والحكومة بلندن)كما أن رفاق القسام هم الذين اطلقوا الرصاصة الاولى في هذه الثورة وهم الذين خاضوا غمار أشرس وأشرف معاركها (٣٨).

(٣٦) عبدالقادر ياسين ،المصدر السابق ،ص ١٥٥ .

(٣٧) عبدالقادر ياسين ، المصدر السابق ،ص ١٥٥ـ ١٥٦ .ايضا ، كيالي ،المصدر السابق ،ص ٢٩٥ .

(٣٨) عبدالقادر ياسين ،"بين جمهورية فرحات وثورة غيفارا ،قضايا عربية، تشرين ثاني (نوفمبر) (١٩٧٩)العدد السابع ،ص ١٩١ .

وقد بدأ واضحا أن ظهور القسام في التلال رافعا راية الكفاح المسلح على رأس مجموعة صغيرة نسبيا لا يعني بأى حال من الاحوال بأن هذا هو كل ما انجزه الرجل ، فقد برز في فترة لاحقة وخاصة في المنطقة الشمالية ، الكثير من الثوار والقادة من اتباعه أو مؤيديه وممن تتلمذوا على يديه أثناء عمله بين جماهير الفلاحين والعمال في مدينة حيفا منذ قدومه اليها وحتى استشهاده في تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٣٥ ٤ ، فمن الخطأ النظر الى حركته من خلال الفترة الزمنية القصيرة جدا التي قضاها في التلال ، واهمال الجذور العميقة التي غرسها بنفسه في حيفا والشمال ، كما سنرى في الفصول اللاحقة .

الفصـــل الثالـــث

الثـــورة : الأسبـــاب والتنظيـــم

الأسبـاب :

يذكر تقرير لجنة بيل (Peel Commission Report) أن الاسباب الاساسية لثورة ١٩٣٦ ـ ١٩٣٩ في فلسطين والتي سماها اضطرابات تتلخص فـي :

أولا : رغبـة العرب في نيل الاستقلال الوطني .

ثانيا : كرههم لانشاء الوطن القومي اليهودي وتخوفهم منه . ثم يضيف التقرير بعـض العوامل الثانوية التي ساعدت على نشوبها وهي : انتشار الروح القومية العربيـة خارج فلسطين ، وازدياد الهجرة اليهودية منذ العام ١٩٣٣ ، والفرصة المتاحـة لليهود للتأثير على الرأي العام في بريطانيا ، وعدم ثقة العرب في اخلاص الحكومة البريطانية ، وفزع العرب من استمرار شراء الاراضي من قبل اليهود ، وعـدم وضوح المقاصد النهائية التي ترمي اليها الدولة المنتدبة (١).

أما الاسباب كما فهمتها الحركة الوطنية الفلسطينية آنذاك فهي تنعكس فـي مطالبتها بتحقيق الشعارات الثلاث التي رفعتها اثر اجتماع المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث في حيفا عام ١٩٢٠، ولكن من خلال وسائل أكثر تنظيما وعنفا من الوسائل التي اتبعت سابقا . ويعطي غسان كنفاني تفسيرا اقتصاديا للثورة باعتباره السبب الحقيقي لها : وهـو وصول حدة التناقض في عملية انتقال المجتمع الفلسطيني من الاقتصاد الزراعي الاقطاعـي العربي، الى الاقتصاد الصناعي البرجوازي اليهودي الغربي الى ذروتها ، وبالتالي نقـل حالة الاستعمار من انتداب بريطاني الى استعمار استيطاني صهيوني ، وصلت الى ذروتهـا

---

(1) Palestine Royal Commission Report ,CMD 5479, London 1937, pp.110-112 .

في الثلاثينات (٢). ومهما تعددت واختلفت التفسيرات التي أعطيت لأسباب الثورة فانه من الواضح انها لم تكن ثورة دينية أو ثورة قطاع طرق ، بل تطورت أثناء مسيرة النضال من انتفاضة عفوية الى ثورة سياسية عسكرية منظمة الى حد معين قامت من أجل تحقيق أهداف سياسية سبق ذكرها . وقد سبق تلك الثورة ، كما سنلاحظ ، اضراب عام استمر ستة أشهر كاملة تخللته أعمال عنف ، كما نفذت خلاله عمليات عسكرية عديدة كان لقسم كبير منها حظ وافر من النجاح .

انطلقت الشرارة التي أشعلت نار الثورة في فلسطين يوم ١٩٣٦/٤/١٥ عندما قامت جماعة عسكرية من أتباع الشيخ عز الدين القسام بقيادة الشيخ فرحان السعدي بنصب كمين على الطريق بين نابلس وطولكرم تعرضت خلاله لاحدى السيارات التي كان يستقلها بعض الركاب اليهود (٣)، فقتلت أحدهم وجرحت اثنين توفي احدهما فيما بعد متأثرا بجراحه (٤). وقد أعقب هذه العملية عمليات انتقامية متبادلة بين العرب واليهود استمرت أسبوعا ، وكان ميدانها الرئيسي منطقة يافا - تل أبيب . ففي يوم ١٦ نيسان (ابريل) ١٩٣٦ قام أعضاء منظمة "الدفاع الوطني" (Nationalist Haganah) الصهيونية باغتيال عاملين عربيين على الطريق العام بالقرب من مستوطنة بتاح تكفا (ملبس). وفي اليوم التالي، كانت جنازة أحد القتلى اليهود (الذي توفي متأثرا بجراحه) مناسبة لقيام اليهود بمظاهرة ضد العرب في تل أبيب اعتدوا خلالها على كل من صادفوه منهم . وقد وصلت أعمال العنف، الى ذروتها عندما قام عمال عرب ميامون من حوران وشرق الاردن ، بعد ورود اشاعات عن مقتل عدد منهم على أيدي اليهود في تل أبيب ، بمهاجمة عدد من اليهود في يافا وقتل تسعة افراد وجرح ٥٠ منهم مقابل مقتل اثنين من العرب وجرح ١٩ آخرين .

---

(٢) كنفاني، المصدر السابق ، ص ٦٠ .

(٣) صبحي ياسين ، الثورة ، ص ٣٠ .

(4) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177 .

وعلى اثر ذلك فرضت السلطات البريطانية نظام منع التجول من الساعة السابعة مساء حتى الخامسة صباحا ، كما أعلنت حالة الطوارئ في كافة أنحاء البلاد (٥).

في تلك الاثناء بدأ قادة الاحزاب في فلسطين بتقييم ودراسة الموقف من أجل الاستفادة منه سياسيا . فقد كان الحزب العربي بقيادة جمال الحسيني وحزب الكتلة الوطنية بقيادة عبد اللطيف صلاح من دعاة اعلان اضراب عام مفتوح حتى تحقيق مطالب العرب الوطنية المتمثلة في وقف الهجرة اليهودية ووقف بيع الاراضي لليهود وتشكيل حكومة وطنية دستورية فلسطينية . أما حزب الدفاع الوطني بزعامة راغب النشاشيبي ومؤيديه، فقد كانوا من دعاة تحديد زمن الاضراب بفترة محدودة (٦) ربما بهدف تذكير السلطات بالمطالب الوطنية فقط .

وفي ٢٠ نيسان (ابريل) عقد اجتماع ضم ممثلي كافة طبقات وطوائف مدينة يافا تم التوصل بنتيجته الى اعلان الاضراب العام والشامل برا وبحرا تعبيرا عن سخط العرب على الخطط التي يقصد منها ابادة العربي في بلده العربي . كما تم تشكيل أول لجنة قومية في البلاد برئاسة السيد عمر البيطار للاشراف على الاضراب الذي استثنى منه المطاحن والافران وأماكن المعاينة الطبية والصيدليات (٧). وفي اليوم نفسه تشكلت في نابلس لجنة قومية بعد اتصال السيد عمر البيطار بزعيمها أحمد الشكعة وأعلن فيها الاضراب " على ان يكون مستمرا لأجل غير معلوم وخابروا باقي مدن فلسطين فأضربت في الحال " (٨). وأخذت باقي المناطق في تأليف لجان قومية من زعماء الشعب ووجهائه للاشراف على تنفيذ الاضراب بشكل دقيق ومن أجل قيادة الشعب قيادة

---

(5) Porath, op.cit.,p.162.

(6) Peirse's Despatch ,15.10.36,WO 32/4177.

(٧) السفرى ، المصدر السابق ، ج٢، ص ١٦ — ١٧ .

(٨) احسان النمر، تاريخ جبل نابلس والبلقاء، الجزء الثالث ، (نابلس ١٩٧٢)، ص ٢٢٥ . انظر ايضا ، وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ — ١٩٣٩ من أوراق أكرم زعيتر، اعداد بيان الحوت ، (بيروت ١٩٧٩) ، ص ٤٠٩ .

ثورية واعية [٩] والعناية بالعمال المضربين وذوى الحاجات . وقد أصبحت هذه اللجان مرجعا أساسيا ، وعطلت بدورها البلديات والهيئات وقيت وحدها تقريبا المسؤولة عن كل شيء [١٠].

وفي ٢٥ نيسان (ابريل) بعد اتمام تشكيل اللجان القومية في كافة أنحاء البلاد " وتفاديا لغضب الشعب" [١١]، الذى رأى في تفرق زعماء البلاد خطرا كبيرا على مستقبلها ، عقد اجتماع لرجال الاحزاب في مدينة القدس تقرر فيه تأليف لجنة عربية عليا تضم رؤساء الاحزاب بعد ان كان المجلس الاسلامي الاعلى والاحزاب الرئيسية الستة بأكملها ولفترة طويلة منهمكة في خلافاتها الشخصية [١٢] ومنازعاتها حول كيفية تحقيق المطالب الوطنية.

وفي ٢٦ نيسان (ابريل) سنة ١٩٣٦ أصدرت اللجنة العربية العليا برئاسة الحاج أمين الحسيني أول بيان لها تدعو فيه الشعب للاستمرار في الاضراب حتى تستجيب حكومة الانتداب للمطالب القومية التي أعلنتها الجبهة الوطنية في تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٣٥، على ان يباشر في الوقف الفورى للهجرة اليهودية للبلاد ، ومن ثم يتم الاتفاق على عقد مؤتمر لمناقشة باقي المطالب القومية الاخرى [١٣]. وقد استقبل الشعب تأليف اللجنة العليا بحماس وسرور عظيمين بغض النظر عن كونها جاءت متأخرة بعض الوقت ، لما تمثله القيادة الموحدة من امكانية قيادة حركة الجماهير بفعالية لتحقيق النصر [١٤].

وقد بدا واضحا ان معظم اهتمام السياسيين قد وجه أصلا الى الاضراب حيث لم

---

(٩) صبحي ياسين ، الثورة ، ص ٣١.

(١٠) احسان النمر ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(١١) النمر ، المصدر السابق ، ص ٢٢٦ .

(١٢) صبحي ياسين ، الثورة ، ص ٣١ .

(13) Marlowe, op.cit.,p.152.

(١٤) صبحي ياسين ، الثورة ، ص ٣٢ . ايضا :
Hirst, op.cit.,p.81

يصدر عنهم مايشير الى البدء في خوض الكفاح المسلح الطويل الامد ضد البريطانيين ، وحتى تحقيق مطالبهم الوطنية . وهكذا بدأ الاضراب الكبير في كل فلسطين ، وهو الاضراب الذى تقلد أبناء الشعب العربي الفلسطيني خلاله أسلحتهم ذات الطراز القديم ليبدأوا حرب عصابات طويلة الامد استمرت متقطعة ، وبدرجات متفاوتة من الكثافة والفعالية حتى بداية الحرب العالمية الثانية ، وبذلك يعتبر الاضراب الكبير بمثابة المقدمة السياسية للثورة العربية الكبرى التي تلت في فترة لاحقة .

وفي ٧ أيار (مايو) ١٩٣٦ أعلن المؤتمر العام للجان القومية القيام بخطوة تصعيدية أخرى فأعلن العصيان المدني اعتبارا من اليوم الخامس عشر من الشهر المذكور، وامتنع الشعب العربي في فلسطين بسائر طبقاته وفئاته عن دفع أى نوع من الضرائب الى الادارة "اذا لم تغير الحكومة البريطانية سياستها تغييرا أساسيا تظهر بوادره بوقف الهجرة اليهودية" (١٥).

محاولات التنظيم :

جرت محاولات تنظيم النشاط العسكرى أثناء الاضراب الكبير بهدف توحيد الجهود وتحقيق الحد الاقصى من الفاعلية والتأثير. وقد لعب أعضاء تنظيم الشيخ القسام السريين والذين تمكنوا من تجنب عمليات التطويق البريطاني ، وممن نجحوا في تأمين قواعد لهم في الجبال ، دورا بارزا في التحريض على اشعال الثورة والاعداد التنظيمي والعسكرى لها مستغلين حالة الغليان التي عاشتها الجماهير والتي أدت الى اعلان الاضراب الكبير. كما أنهم لم يتوقفوا أبدا عن العمل الثورى في صفوف كافة طبقات الشعب

---

(١٥) السفرى ، المصدر السابق ، ص ٤٧ .

وخاصة طبقة الفلاحين والعمل على دعوتهم " للالتحاق بقضية العرب الكبرى "(١٦). وقد كانت أكثر مساهماتهم فعالية من اجل قضية الثورة ذلك الدور القيادي والتنظيمي لفصائلها والذي مارسوه عند اشتعالها ، كما عمل الكثيرون منهم،حتى النهاية ضمن تشكيل كبار القادة في الجبهات القتالية المختلفة. وأذكر على سبيل المثال لا الحصر خمسة منهم عملوا ضمن صفوف القيادة العليا وهم : خليل محمد عيسى الملقب بـ "ابوابراهيم الكبير" ، من مواليد شفا عمرو ومن عمال حيفا سابقا ، ويوسف أبو درّة ، من مواليد سيلة الحارثية عام ١٩٠٠ والذي بدأ حياته مزارعا فيها قبل انتقاله الى حيفا والعمل في سكة الحديد أولا، ثم موظفا في شركة النفط فيها ، والشيخ فرحان السعدي ، من مواليد قرية المزار - جنين وأحد المزارعين فيها ، والشيخ عطية محمود عواد ، من مواليد بلد الشيخ - حيفا وأحد عمال السكة الحديد فيها ، وأخيرا محمد الصالح ، من مواليد قرية سيلة الظهر وأحد عمال حيفا ، قبل التحاقه بالثورة (١٧).

وقد أظهرت دراسة تناولت ٢٨٢ قائدا ممن تولوا مختلف المناصب أن معظم القادة العسكريين للثورة انتموا الى طبقة العمال ذوي الاصول الفلاحية . فقد كان ١٨٣ (٦٥٪) منهم فلاحون ، و ٨ (٣٪) فلاحون استقروا في المدينة ، و ٦١ (٢٢٪) من سكان المدن ، و ٢٢ (٨٪) من البدو والباقي من الدول العربية المجاورة (١٨).

وعندما انطلقت الثورة بدأت تتشكل مجموعات اكثر عددا وأعظم فعالية بواسطة " اخوان القسام " او بواسطة بعض القادة الوطنيين في البلاد أمثال فخري عبد الهادي، وعبد القادر الحسيني ، وعارف عبد الرازق ، وعبد الرحيم الحاج محمد ، وقد لوحظ في

---

(16) Peirse's Despatch, 15.10.36,WO 32/4177.

(١٧) صبحي ياسين، الثورة، ص ٢٤، ٤٨ ، ٤٩، ٥١، ٥٢، ٨٤، ٩٢، ١١٣، ١٢٤.
ايضا : مجلة فلسطين، اصدار الهيئة العربية العليا ، الأعداد (٤) أيار (مايو) ١٩٦١ حتى العدد ١٥٤ كانون الثاني (يناير) ١٩٧٤ .

(18) Porath, op.cit. p .261.

البداية بروز ظاهرة اختيار معظم قادة الثورة أماكن سكنهم أو أماكن قريبة منها مجالا لنشاطهم الحربي ضد العدو ، وهذا ماجعل الثورة في البداية غير قادرة على تخطي الاطر والحدود المحلية. فقد عمل عبد القادر الحسيني مثلا ، وهو أحد وجهاء القدس ذو ثقافة عالية وأحد موظفي الدولة سابقا ، في منطقة القدس . وقد نظم قواته في مجموعات كبيرة تكونت من عدة مئات ، انتمى أفرادها أصلا الى تنظيم شباب الفتوة التابع للحزب العربي الفلسطيني ، ونشرها في قرى رام الله. أما قيادته فقد أسسها في بير زيت. وعمل عيسى البطاط في منطقة الظاهرية ـ قضاء الخليل التي عاش فيها . كما نشط الشيخ حسن سلامة ، والذي انتسب لاحدى عائلات قرية القبيرة في منطقة يافا ـ اللد ـ الرملة ، ولم يتعدى عارف عبد الرازق وهو من أهالي الطيبة ـ منطقة بني صعب، مناطق طولكرم وجنين. أما يوسف أبو درة، فقد عمل في منطقة تمتد من شمال نابلس حتى حيفا وجوارها . ومارس خليل محمد عيسى مهامه كقائد عام للثورة في المنطقة الشمالية ، وهي المنطقة التي ولد وعاش فيها (١٩) . ويستثنى من ذلك عبد الرحيم الحاج محمد ، من مواليد قرية ذنابة طولكرم عام ١٨٩٢ ، وأحد كبار التجار فيها ، الذي نظم قواته في فصائل يمثل كل منها احدى القرى . وعلى رأس كل فصيل قائد خاص يأتمر بأوامره شخصيا . وقد عاونه اثنان من أقربائه وظيفتهما جمع مواد التموين وتأمين الاسلحة والذخائر اللازمة. أما فرع الاستخبارات فقد عهد رئاسته الى معلم مدرسة. وفي هذا المجال لعب رجال الشرطة العرب وموظفي الدولة دورا أساسيا في مساعدة عبد الرحيم الحاج محمد والقادة الآخرين وذلك عن طريق تزويدهم دائما وباستمرار بالمعلومات السرية عن نوايا القوات البريطانية وعملياتها العسكرية الوشيكة التنفيذ . كما ساهموا في تضليل البريطانيين فيما يتعلق بتحركات

---

(١٩) اميل الغوري ، فلسطين عبر ستين عاما ، الجزء الثاني ،(بيروت ١٩٧٣) ، ص ٨١ ـ ٨٤ . ايضا ، محمد عزة دروزة ، القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ، (صيدا ١٩٥٩) ، ص ٢١٢ .

الثوار العرب (٢٠). أما فخري عبد الهادي ، احد وجهاء نابلس ، فقد نظم قواته في مجموعة واحدة كبيرة تعدادها مائة ثائر. وقد ازداد عدد مؤيديه وأتباعه بشكل ملحوظ في فترة لاحقة بعد انضمام مجموعات الثوار العاملة في كل من عرّابة واللجون وقباطية ودير شرف في منطقة جنين اليه وذلك على اثر حصوله على تأييد ودعم عائلة ارشيد ذات الروابط الوثيقة بعائلة النشاشيبي (٢١).

التنظيم العسكري للثورة :

جرت أولى محاولات التنسيق بين فصائل الثورة المختلفة في شهر تموز (يوليو) عام ١٩٣٦، حيث عقد اجتماع بالقرب من قرية طوباس شرق منطقة نابلس ضم بعض فصائل المقاومة التي نشطت في المنطقة (٢٢). ويبدو ان النتيجة لم تكن مشجعة كثيرا فجرت محاولة أخرى أكثر نجاحا بعد اسبوعين تقريبا . وفي آب (اغسطس) عقد اجتماع ضم خمسة من قادة الثوار المحليين وهم : فخري عبد الهادي ، وخميس عرباوي ، والشيخ فرحان السعدي ، وعبد الله البيروتي ، وضرار النشاشيبي ، شمال طوباس تقرر على اثره تشكيل ثلاث قيادات اقليمية واحدة في جبال نابلس وأخرى في منطقة طولكرم وثالثة في حيفا وجوارهما . كما قرروا تأسيس محكمة عليا لمحاكمة المتعاونين مع العدو وقد تم انتخاب عوني عبد الهادي قائدا عاما لمنطقة جنين ـ طولكرم ، كما ألحق فصيل منطقة بني صعب بامرته (٢٣). ولكن أكثر المحاولات جدية ونجاحا، لتأسيس قيادة عسكرية منظمة جرت في ٢ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٦ بعد وصول فوزي القاوقجي (ضابط عربي لبناني عمل في الجيش التركي)في ٢٢ آب (اغسطس) ١٩٣٦ الى فلسطين على رأس قوة من المتطوعين العرب قدرت بنحو مائتي مقاتل . ففي ذلك

---

(20) Porath, op.cit.,p.185.
(21) Porath, op.cit.,p.185.
(22) Porath, op.cit.,p.186.

(٢٣) خضر محفوظ ، تحت راية القاوقجي ، (السالمية ١٩٧٣)، ص ٦٣ .

التاريخ، عقد اجتماع ضم قادة الوحدات الرئيسية الست العاملة في مناطق كل من جنين ونابلس وطولكرم: فخري عبد الهادى ، وعبد الرحيم الحاج محمد ، وعارف عبد الرازق، والشيخ فرحان السعدى ، والشيخ عطية محمد عواد ، ومحمد الصالح (والثلاثة الأخر من أتباع القسام) حيث تم على اثره انتخاب فوزى القاوقجي قائدا عاما للثورة العربية في فلسطين (٢٤). ويبدو أن انتخابه لهذا المنصب قد جاء نتيجة لكونه اكثر القادة المتوفرين خبرة في النواحي العسكرية بالاضافة الى كونه قائدا لمجموعة من المتطوعين العسكريين خدم بعضهم ضمن صفوف جيوش نظامية .

وقد قسم القائد الجديد قواته الى خمسة سرايا مقاتلة :

١. سرية فلسطينية تم تشكيلها من الوحدات الست التي سبق ذكرها ووضعت تحت قيادة فخري عبد الهادى الذى انتخب ايضا نائبا للقائد العام.

٢. سرية عراقية بقيادة جاسم (ضابط عراقي نظامي).

٣. سرية دمشقية / أردنية / حورانية بقيادة الشيخ محمد الأشمر .

٤. سرية درزية مؤلفة من دروز لبنان وجبل العرب بقيادة حمد الصعب (مناضل لبناني من الشويفات وممن ساهموا في الثورة السورية عام ١٩٢٥).

٥. سرية حموية ـ حمصية بقيادة منير الريس (أديب وصحفي سورى وأحد أعلام الثورة السورية) (٢٥).

كما نظم فرع مخابرات حربية عهد بقيادته الى منير الريس ، حددت مهامه بالحصول على معلومات عن نوايا وتحركات القوات البريطانية وعملائها . وقد كان البوليس العربي

---

(٢٤) النمر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ .

(٢٥) النمر ، المصدر السابق ، ص ٢٦٤ . ايضا ، فلسطين في مذكرات القاوقجي ١٩٣٦ـ ١٩٤٨ ، اعداد خيريه قاسميه، (بيروت ١٩٧٥)، ص ٢٣ ـ ٣٢ .

وموظفو الحكومة هم الجهاز الاساسي لهذا الفرع والمصدر الرئيسي لتلك المعلومات . كما أنيط بالفرع اصدار البلاغات العسكرية وتوزيع المنشورات الدعائية على الجماهير (٢٦) .

ويبدو من خلال هذا التقسيم لقوات الثورة ان هناك تأكيدا على البعد القومي للمعركة . فالطابع العربي في عملية التشكيل بدا غالبا عليها الى حد كبير وذلك " حتى تتبارى وتتنافس كل فئة منها في اظهار خصائصها العربية الكريمة" (٢٧) . كما أرى من الضرورى التأكيد على نقطة اخرى وهي ان القوة التي عبرت نهر الاردن الى نابلس كانت أكثر تنظيما وتدريبا وخبرة وتسليحا من القوات المتمركزة أصلا في المنطقة ، مما جعلها بالضرورة وبحكم ظروفها وامكاناتها أجدر من غيرها بقيادة النضال العسكرى . كما ان هناك نقطة هامة أخرى ، وهي أن عبد القادر الحسيني قائد منطقة القدس ومؤيديه من قادة المنطقة الجنوبية لم ينضموا الى التشكيل الموحد الجديد وبقي مستقلا في ممارسة مهامه على أساس أنه القائد العام للثورة في كل أنحاء البلاد (٢٨) وهناك مبرر للاعتقاد بأن سبب تلك الاستقلالية يعود الى الحذر من القاوقجي ، والمحافظة على المصالح الشخصية ومحاولة الابقاء على نفوذ العائلة . وقد أسس القاوقجي أيضا غرفة عمليات لأول مرة منذ بدء الاشتباكات ، لوضع وتنفيذ الخطط العسكرية . كما قام معاونوه بتثبيت الاهداف المنوى مهاجمتها على خرائط عسكرية استخدمت للمرة الأولى (٢٩) . كما تم تنظيم الشؤون الادارية لما لها من أهمية كبيرة في امداد الثورة بضروريات المعركة واحتياجاتها من أجل الاستمرار والصمود ، فقد كان من واجب مسؤول الشئون الادارية تأمين المواد الحربية اللازمة كالسلاح والذخيرة اضافة الى التموين وايصالها لرجال العصابات في الجبال . كما أنه مسؤول أمام القائد

---

(٢٦) السفرى ، المصدر السابق ، جزء ٢ ، ص ١٤٦ .

(٢٧) منير الريس ، الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي : ثورة فلسطين عام ١٩٣٦ ، (دمشق ١٩٧٦) ، ص ٢٠٠ .

(٢٨) الغورى ، فلسطين ، جزء ٢ ، ص ٨١ ـ ٨٢ .

(٢٩) السفرى ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ .

العام بوضع سياسة لوجيستية تتطابق والمهمات الموكلة لقوات الثورة . وقد عهد بهذه المهمة الى بهاء الدين الطباع ، وهو عربي سوري يعيش في القدس حيث كان يحكم عليه كمدرس ، نشيطا وخبيرا في تعبئة وتنظيم الشباب في " منظمة الكشافة العرب " (٣٠).

أما فيما يتعلق بالتمويل فقد اعتمدت قوات الثورة اعتمادا أساسيا على تأييد ودعم وتمويل الجماهير ، وعلى التبرعات التي قدمتها الدول العربية والاسلامية ، وكذلك على الاموال التي تم الاستيلاء عليها من البريطانيين واليهود خلال المعارك وقد شكلت البنوك ومراكز البريد هدفا رئيسيا للثوار حيث نجحوا خلال احدى غاراتهم على فرع بنك باركليز في نابلس عام ١٩٣٨ في الاستيلاء على ٥٠٢٠ جنيه ، ونجحوا في محاولة أخرى في الاستيلاء على ٢٠٠٠ جنيه من أحد مكاتب البريد (٣١). كما كان على الثوار القادرين تأمين أسلحتهم وذخيرتهم طوال مسيرة الثورة (٣٢). وقد كلفت جمعية خاصة بمهمة جمع المال وقد تشكلت ، ونظرا لحساسية المهمة ، من سبعة أعضاء أحدهم سوري وآخر عراقي ، وخمسة من الفلسطينيين ، تولى معظمهم مناصب قيادية في صفوف الثورة وهم : عبد الرحيم الحاج محمد ، وابراهيم الحاج نصار ، وعارف عبد الرازق ، والشيخ فرحان السعدي ، وتوفيق الصالح الحاج محمد (٣٣).

ومن ضمن الانجازات المهمة التي نتجت عن التنظيم الجديد تأسيس محكمة ثورية خاصة لمحاكمة العملاء والجواسيس (٣٤) من أجل فرض النظام والامن والعدل بين صفوف الجماهير في المناطق التي سيطر عليها رجال العصابات . وقد تولى منير الريس رئاستها

---

(٣٠) فلسطين ... ، ص ٢٢ ـ ٢٣ .

(31) Lesch,A., Arab Politics In Palestine 1917-1939 The Frustration Of A Nationalist Movement, (London 1979),p.222.

(32) Marlowe, op.cit.,p.194.

(33) Porath, op.cit.,p.190.

(34) Marlowe, op.cit.,p.171.

في احدى المراحل كما ضمت في عضويتها السادة محمد الاشمر ، وفخري عبد الهادي ، وعبد الرحيم الحاج محمد (٣٥). وقد اعترف الجنرال هاينتج في تقريره قائلا: " لقد شكلت محكمة الثوار على نحو قانوني بحيث ضمت قضاة وشهود ومحامين وحتى الشعب المستعار " (٣٦).

اعادة تنظيم القيادة خلال المرحلة الثانية في أعوام ١٩٣٧-١٩٣٨:

انتقلت القيادة العسكرية للثورة في تلك المرحلة خلافا للعام ١٩٣٦ ، الى أيدي قادتها الفلسطينيين (٣٧) الذين شكل الفلاحون غالبيتهم ومن ثم تجهيزهم وتسييرهم الى مناطق القتال بواسطة اللجنة المركزية للجهاد ، التي تم انشاؤها للاشراف على الثورة (٣٨)، وقد تشكلت تلك اللجنة في دمشق عام ١٩٣٧ بعد ترك أو طرد العديد من الثوار ولجوئهم الى دمشق وبيروت ، في أعقاب مقتل حاكم لواء الجليل لويس أندروز (L. Andrews) والتي تلخصت مهامها بجمع التبرعات وامداد الثورة بالرجال والسلاح عبر الحدود الشمالية والجنوبية . وقد ترأسها المفتي كما ضمت السادة حسن أبي السعود ، ونيف الحسيني ، واسحق درويش وعزت دروزة ومعين الماضي (٣٩). وقد كان لوجود زعماء الثورة وخاصة السياسيين منهم خارج فلسطين أثره الكبير في جعل القيادات المحلية المتحدرة من أصول فلاحية تقوم بدور أكبر من الدور الذي لعبته في الفترة السابقة. وقد برز على سبيل المثال ثلاثة قادة كبار ممن انطبقت عليهم هذه الصفة وهم : عبد الرحيم الحاج محمد الذي أصبح قائدا عاما للثورة في وقت لاحق من عام ١٩٣٨ وحتى استشهاده في ٢٩ آذار (مارس)

---

(35) Porath, op.cit.,p.190.

(36) Haining's (G.O.C.) Report to WO,3o.11.38,CO 733/379/75528/74/38

(٣٧) السفري ، المصدر السابق ، ص ١٤٧ . ايضا الريس ، المصدر السابق ، ص ٢٣٦.

ايضا : Tegart Papers Box1,File3 (2) Db2 .

(٣٨) دروزة ، المصدر السابق ، ص ٢١١ .

(٣٩) دروزة ، المصدر السابق ، ص ٢٠٩ .

١٩٣٩، وهو الذي عمم لبس الكوفية والعقال لباسا وطنيا بدلا من الطربوش في كافة أنحاء البلاد، ويوسف أبو درّة، وعارف عبد الرازق (٤٠). وقد بذلت اللجنة محاولات كثيرة لاقناع فوزي القاوقجي الذي غادر فلسطين في تشرين أول (اكتوبر) ١٩٣٦، على اثر وقف الاضراب، للعودة وتولي منصب القائد العام ولكنه رفض العرض. كما رفضه كل من محمد الاشمر، والدكتور أمين رويحة أحد المناضلين الوطنيين العراقيين، بدورهما كذلك (٤١).

والواضح أن الخبرة العسكرية التي تميز بها هؤلاء القادة والتي اكتسبوها خلال المعارك، اضافة الى عدم اتفاق القادة الفلسطينيين على قائد معين كانت وراء محاولات اللجنة في تعيين احدهم لتولي هذا المنصب. أما السبب وراء رفض القاوقجي لهذا العرض فقد أوردته صحيفة الزمان العراقية بزعمها أنه تعهد للحكومة العراقية بعدم الاشتراك في السياسة أو أية حركة ثورية تجاه فلسطين (٤٢). ويذكر القاوقجي في مذكراته ان ضغوطا بريطانية مورست ضد الحكومة العراقية حالت دون التحاقه بالثورة عام ١٩٣٧ (٤٣). ويبدو أن لهذا الضغط علاقة بالوساطة التي قامت بها الحكومة العراقية من خلال وزير خارجيتها نوري السعيد عام ١٩٣٦ والتي انتهت بوقف الاضراب بعد تدخل بعض المسؤولين العرب.

وبعد فشل "اللجنة المركزية للجهاد" في تعيين قائد عام فلسطيني يحظى بموافقة الجميع تم الاتفاق على تشكيل ديوان يشبه الى حد كبير غرفة عمليات ميدانية يمثل فيه كافة قادة المناطق العسكرية باستثناء منطقة الجنوب التي بقيت تعمل بصورة مستقلة، وتكون رئاسته بالتناوب (٤٤). وقد اتخذ تنظيم القيادة في بداية العمليات عام ١٩٣٧، اشكالا محلية متنوعة يمارس فيها كل قائد مهامه طبقا لامكاناته المتوفرة (٤٥).

---

(40) Haining's Report 31.7.39,CO 733/404/75528/74/39 .And, Haining's Papers,DS.126.

(41) Porath, op.cit,p.245.

(٤٢) كامل خله، فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢-١٩٣٩، (بيروت ١٩٧٤)، ص ٤٥٣.

(٤٣) فلسطين في ...، ص ٧٢.

(44) Porath, op.cit,pp.241-242.

(٤٥) دروزة، المصدر السابق، ص ٢١٣.

وبعد انتشار الثورة في خريف العام المذكور وعام ١٩٣٨ وشمولها كافة قطاعات الشعب الفلسطيني ومناطق تواجده ، ونظرا للتجارب العديدة التي مارسها القادة والثوار ، والتي اكتسبوا خلالها خبرة أوسع من الناحية القتالية والتدريب ، تطور التنظيم نحو الافضل وأصبحت الثورة على مستوى أعلى من الدقة والتنظيم . ففي عام ١٩٣٨ ، عيّن عبد الرحيم الحاج محمد قائدا عاما للثورة في فلسطين بحيث تم تشكيل القيادة العسكرية وتم تنظيمها على الشكل التالي :

١ . القيادة العليا :

اتخذت قيادة الثورة من مدينة دمشق مقرا سريا ، لصعوبة بقائها في فلسطين في تلك الفترة نتيجة لضغط ومراقبة السلطات حيث تم تشكيل مجلس قيادي يتكون الى جانب القائد العام من عدد من المساعدين هم غالبا رؤساء فروع : الشؤون الادارية ، والمخابرات ، والاعلام ، بالاضافة الى قادة المناطق . كما تم تعيين عدد من قدامى المحاربين السوريين ممن عملوا في الثورة السورية (١٩٢٥ـ١٩٢٧) كمستشارين للقائد (٤٦) . وقد تلخصت واجبات القائد العام في القيام بزيارات منظمة لجبهات القتال ، واصدار الأوامر والتعليمات لمرؤوسيه ومناقشة مشاكلهم العسكرية وخططهم المستقبلية . كما اشتملت مهامه على العمل بتزويد الجبهات بحاجتها من الاسلحة والذخائر وتأمين حاجيات الثوار المتفرغين للقتال ، والاشراف على محاكم الثورة ليضمن تحقيق العدالة لافراد الشعب واصدار البلاغات العسكرية والمنشورات (٤٧) .

٢ . قيادة المناطق :

خضعت جبهات القتال في فلسطين لقيادات مناطق رئيسية مختلفة شكلت

---

(٤٦) صبحي ياسين ، الثورة ، ص ٤٣ .

(٤٧) الشاعر ، المصدر السابق ، ص ١٦٠ .

غالبا القيادة الميدانية للثورة في غياب القيادة العسكرية العامة في دمشق ، وقد تم توزيعها على الشكل التالي :

١. المنطقة الشمالية :

وتمتد من جبل الكرمل في الجنوب الى حدود سوريا ولبنان في الشمال ومنطقة طبريا وسمخ في الشرق . وتعتبر هذه المنطقة ملائمة لحرب العصابات نظرا لوعورتها .

٢. قيادة منطقة نابلس :

وتشمل أقضية نابلس وطولكرم وجنين وساحل حيفا . وتعتبر هذه المنطقة نموذجية لحرب العصابات لوعورتها وصعوبة مسالكها .

٣. قيادة المنطقة الوسطى :

تشمل أقضية يافا ، واللد ، والرملة .

٤. قيادة منطقة القدس :

وتشمل أقضية القدس والخليل ورام الله وبيت لحم .

أما المناطق الجنوبية من فلسطين فلم يكن فيها قادة مناطق لانها اما أراض زراعية ، او صحراوية لا تصلح لتنقل رجال العصابات .

وكانت توضع قيادات محلية في غزة والمجدل وبئر السبع تنفذ أوامر القيادة العليا ، وتتعاون مع قيادات مناطق القدس ونابلس في المنطقة الوسطى في بعض الاحيان .

مسؤوليات قادة المناطق :

تألفت المنطقة الرئيسية من عدد من المناطق المحلية وتضم بين ١٥٠ـ٢٠٠ ثائر موزعين الى فصائل ، يتألف كل فصيل من ١٥ مقاتلا في المتوسط ، منهم فصيل القيادة . وقد حددت اختصاصاتها بالاشراف على القطاعات المحلية وشؤون الأمن فيها بالاضافة الى

الاشتراك في المعارك الرئيسية (٤٨). وذلك في حين كانت الادارة البريطانية في المناطق الجبلية باعتراف الجنرال هاينج القائد العام للقوات البريطانية " غير موجودة على الاطلاق " (٤٩).

قوة رجال العصابات :

ليس من السهل الحصول على رقم دقيق لعدد الثوار المتفرغين الذين عملوا خلال فترة الثورة. ولكن بعض المصادر العربية المتخصصة بحوادث وثورات فلسطين تقدر عدد الثوار الذين اشتركوا في ثورة (١٩٣٦ـ ١٩٣٩) بما يتراوح بين تسعة وعشرة آلاف ثائر. من هذا العدد ثلاثة آلاف ثائر تفرغوا كليا لاعمال العصابات وألف ثائر تفرغوا للعمل في المدن ، وستة آلاف ثائر من سكان القرى والبادية لم يتفرغوا كليا للقتال بل كانوا يمارسون أعمالهم الخاصة بالاضافة لقيامهم بأعمال النجدة للثوار عند نشوب المعارك بالقرب من قراهم وأماكن سكنهم (٥٠).

أما السلطات البريطانية فقدرت قوة الثوار المتفرغين كليا للقتال بين ألف وألف وخمسمائة مقاتل يساعدهم عدد كبير من المتطوعين من سكان المناطق المجاورة والذين كانوا يذهبون بعد كل معركة بين الجماهير بعد أن يخفوا ملابسهم وسلاحهم ويعودون لممارسة أعمالهم العادية (٥١). وقدرتها مصادر أخرى بألفي متفرغ (٥٢). أما جون مارلو (J. Marlowe) فقد قدرها بدوره بخمسة آلاف بين متفرغ وشبه متفرغ وذلك في

---

(٤٨) صبحي ياسين، حرب العصابات في فلسطين، (القاهرة ١٩٦٧)، ص ٧٨ـ ٧٩ .

(49) Haining's Report ,30.11.38,CO 733/379/75528/74/38 .

(٥٠) صبحي ياسين، حرب العصابات، ص ٧٥ـ٧٦ . ايضا، الشاعر، المصدر السابق، ص ١٥٧ .

(51) WO 32/4562,Appreciation of The Rebels By Gen. Haining.

(52) HC to Colonial Secretary, Secret Letter Dated 28.9.38, CO 733/372/75156/102 .

عام ١٩٣٦م ثم قفز الرقم الى خمسة عشر ألفا في العام ١٩٣٨ (٥٣).

ومن هنا نرى ان تقديرات المصادر العربية لقوة الثوار بدت معقولة بالمقارنة مع تقديرات المصادر البريطانية المختلفة . هذا اذا أضفنا الى عدد الثوار المتفرغين أولئك الذين يعملون الى جانبهم من سكان القرى المجاورة والذين سموا (بالفزيعة) . وقد قام هؤلاء الثوار شبه المتفرغين بعمليات لا تقل في جرأتها عن تلك التي اعتاد القيام بها الثوار المتفرغون مثل نسف وتخريب طرق المواصلات بكافة أنواعها (٥٤). كما نفذوا العديد من المهام القتالية كالاغارة على المستعمرات اليهودية . ومراكز البوليس، واشغال العدو بمعارك جانبية، لتخفيف الضغط عن القيادة أثناء اندلاع معارك كبيرة ، وفتح معارك الالهاء لتوزيع وتشتيت جهود العدو على جبهات عديدة عند القيام بهجوم أو عملية حربية كبيرة، وحماية مؤخرة وحدات الثوار عند الهجوم على الدوريات والمستعمرات والمعسكرات التابعة للجيش البريطاني ، وتأمين نقل الذخائر والتموين للثوار المتمركزين في قواعد ثابتة في الجبال والمناطق الوعرة وذلك بالتنسيق مع القيادات المحلية (٥٥).

التسليح :

تكونت الاسلحة التي استخدمت من قبل الثوار خلال الفترة موضوع الدراسة من خليط غريب ومتنوع من البنادق والمسدسات ، يمكن وصفها ببساطة بأنها قديمة الطراز وغير فعالة بالمقارنة بالاسلحة التي استخدمتها القوات النظامية البريطانية وغير النظامية الصهيونية . كما أنها لعبت دورا كبيرا بحل وحاسما في ابقاء عمليات الثوار مقتصرة في معظمها على الكمائن والغارات وعمليات القنص . وسنلاحظ من خلال عرضنا لتسليح الثوار انه لم يكن هناك خطة عامة للتسليح في البداية ، وهي الفترة التي انطلقت فيها الثورة بعفوية جماهيرية رائعة .

---

(53) Marlowe, op.cit, pp.156, 194.

(54) Marlowe, op.cit, p.193.

(٥٥) الشاعر، المصدر السابق، ص ١٦٢ . ايضا ، مقابلة مع قائدين محليين .

فقد استخدم الثوار في بداية الثورة بنادق كانت بالاساس تحتفظ به كل عائلة لنفسها لاستخدامه بغرض الدفاع عن النفس ، تم الحصول عليها قبل الحرب العالمية الاولى من الجيش التركي . كما استخدمت ايضا بنادق ذات أصل كندى وفرنسي وياباني وروسي وانجليزى وألماني . واستخدمت كذلك أسلحة تم تركيبها بطريقة لا تخلو من الخيال والابداع من قطع غيار مختلفة لبنادق متنوعة . وفي احدى العمليات استولت القوات البريطانية على بندقية برتغالية ،مصنوعة في القرن الثامن عشر مازالت تعمل بصورة جيدة .

ولكن القسم الاكبر من الاسلحة قد تم الحصول عليه من مخلفات القوات التركية المنسحبة بعد هزيمتها أثناء الحرب العالمية الاولى أو تم تهريبها عن طريق البحر وعبر الحدود من الاردن وسوريا ولبنان (٥٦) ، وفي فترة لاحقة ، وبالتحديد،بعد وصول القاوقجي الى فلسطين استخدم الثوار الرشاشات على نطاق ضيق في منطقة نابلس بعد أن غنموا بعضها من البريطانيين (٥٧) . كما استخدمت العصي ، والخناجر والسيوف والحجارة بشكل واسع أيضا . أما المدافع فلم تكن موجودة على الاطلاق (٥٨) .

ومن الظواهر الطريفة والمؤثرة فيما يتعلق بموضوع الاسلحة ذلك التعاون الرائع الذى كان يحدث بين اخوة السلاح . فالاسلحة التي استخدمت في ثورة ١٩٣٦ في فلسطين هي نفسها التي استخدمت في ثورة ١٩٢٥ في سوريا ثم أعيدت الى فلسطين بعد ذلك ابتداء من العام ١٩٢٩ (٥٩) . وقد كان البوليس الفلسطيني (١٥٠٠) عنصرا مصدرا سهلا

---

(56) Air 2/1568, Report On Capture Of Arms & Ammunition In Palestine 24.7.36. And,
Marlowe, op.cit,p.157.

ايضا ، مقابلة مع قائدين محليين .

(٥٧) محفوظة المصدر السابق ،ص ٥٣ . ايضا .
Peirs's Despatch ,15.10.36,WO32 /4177.

(58)Peirs's Despatch ,15.10.36,WO 32/4177.

(59)Air 2/1568, Report On Capture Of Arms..,24.7.36.

لامداد الثوار بالبنادق نظرا لسهولة السيطرة والاستيلاء على مخازن أسلحتهم وذلك بسبب تعاطفهم مع الثورة أولا ، ولعدم خبرتهم القتالية في صد الهجمات المتكررة ثانيا (٦٠).

الذخيـــــرة :

أما فيما يتعلق بالذخيرة التي استخدمت من قبل الثوار فقد كانت مستودعـــات ومتلكات الجيش البريطاني والبوليس مصدرها الرئيسي . وهذا يعني اما ان تكون هـــذه الذخائر ظروف فارغة تم جمعها وتعبئتها يدويا أو تم الاستيلاء عليها خلال المعارك مـــع القوات البريطانية أو تم شراؤها من بعض أفراد تلك القوات ، بالاضافة الى قسم كبير تـــم تهريبه من المناطق المجاورة (٦١).

القنابـــل اليدوية والالغام :

استخدم رجال العصابات كميات كبيرة من القنابل اليدوية البريطانية من نوع ميلز ٣٦ (Mills 36)، كما قاموا بتصنيع قنابل يدوية محليا شبيهة بعلبة المربى تم استخدامهـــا بشكل واسع في عمليات الثوار في المدن. كما استخدم الثوار ايضا قذائف مدفعية بعـــــد تحويلها الى الغام وعبوات ، تم الاستيلاء عليها من بعض معسكرات الجيش البريطاني فـــي عمليات تدمير خطوط السكك الحديدية والطرق والجسور (٦٢).

الاستراتيجية والتكتيك :

ان مبادئ الحرب الثورية وقوانينها مثلها مثل أي حرب أخرى مسألة لا بد لكل مـــن

---

(60) Haining's Report,30.11.38,CO 733/379/75528/74/38.

(٦١) النمر، المصدر السابق، ص٢٣٤. ايضا :
Air 2/1568,Report On Capture Of Arms..,24.7.36.

(62) Air 2/1568, Report On Capture Of Arms..,24.7.36.

ايضا ، مقابلة مع قادة محليين.

يدير حرب أو حتى عملية استراتيجية أو تكتيكية من دراستها وحلها • فالشعب الفلسطيني الذى خاض حربا ثورية لأكثر من ثلاث سنوات كان يعيش ظروف معقدة وصعبة جـــدا ، مما أثر في العمل الحربي وطبيعته وبالتالي نتيجته وقد عجزت القيادة عن فهم المبـــادئ والقوانين الخاصة بذلك العمل وكيفية القيام به بالشكل المناسب ومن ثم اتقانه •

فالقادة الذين تولوا أمور القيادة طوال سنوات الثورة لم ينجحوا في رسم استراتيجية عسكرية واضحة وان كانوا قد نجحوا في تطبيق أهم مبادئ حرب العصابات دون تطويرهـــا الى حرب نظامية أو متحركة وذلك لعدم تمكنهم من قلب موازين القوى لصالح الثورة فـــي النهاية •

فعلى سبيل المثال لم تنجح الثورة الا في تطبيق المرحلة الاولى من مجموع المراحل الثلاث التي يفترض ان تجتازها الحرب الطويلة الأمد حتى تنتصر وهي المرحلـــــة التي تقوم خلالها قوات الثورة بعمليات هجومية محدودة ضد قوات العدو ولم تنجـــح في تطبيق المرحلتين الاخرتين وهما :

المرحلة التي يحافظ فيها العدو على وضعه الاستراتيجي استعدادا لصد هجمات الثوار الواسعة النطاق ، والمرحلة الثالثة التي تشن فيها الثورة الهجوم النهائي في الوقت الذى يبدأ العدو فيه تراجعه الاستراتيجي وبالمقابل مرت الثورة الفلسطينية بالمراحـــل التالية :ـ

المرحلـة الاولى :

الاضراب العام مصحوبا بعمليات عسكرية في المدن والريف كما سنلاحظ في الفصل التالي • (أى العمل العفوى ومحاولة التنظيم)•

المرحلـة الثانية :

التركيز على العمل العسكرى في الريف والتي وصلت الثورة فيها الى ذروتها • (أى العمل الثورى المنظم)•

المرحلة الثالثة :

وهي العودة الى المدن تحت ضغط القوات البريطانية . (أى اخماد الثورة) .

هذا من الناحية العسكرية ، أما من الناحية السياسية فقد كانت هناك خطوط عريضة ممثلة بالمبادىء الثلاثة التي مر ذكرها والتي اجمع عليها كافة طبقات الشعب والتي كانت تقدم كمطالب بين فترة وأخرى للسلطات البريطانية طوال فترة الثورة دون تحديد العدو والصديق بشكل واضح ، ودون اجراء عملية فرز وطنية يتم على اثرها تحديد الجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية والقيادة التي يفترض ان تقودها حتى النصر . أما من الناحية التكتيكية ، فقد حدثت أخطاء كثيرة في النظرة الى الموقف ككل ، واعتقد بعض القادة بان الانتصارات التكتيكية وحدها تقرر النصر الاستراتيجي ، مهملين تماما الحقيقة القائلة بأن تحديد النصر أو الهزيمة في الحرب يعتمد أولا وقبل كل شيء على مدى دراسة الموقف ككل بمراحله المختلفة والاستعداد له .

وهذا يعود بالتأكيد الى قلة الخبرة ، وعدم تطور القادة بمستوياتهم المختلفة وعدم انسجامهم ، وعدم تكافؤ القوى بين قوات الثورة والعدو ، وعدم تطبيق مبدأ المرونة في نشر القوات في بعض المناطق ، ولكن ، وبالرغم من كل الصعوبات المذكورة أعلاه نجح رجال العصابات في تطبيق المبادىء الاساسية في حرب العصابات مثل : حشد قوات كبيرة أثناء مهاجمة نقطة معينة ، والعمل بصورة سرية ونشيطة ومستمرة ، وتطبيق مبدأ المفاجأة في الهجوم وانهاء المعركة بسرعة خاطفة . ولعل أهم تلك المبادىء وباقرار المصادر العسكرية العليا البريطانية هو تجنب الاشتباكات واسعة النطاق مع الجيش البريطاني ، وغير المواتية للثوار وهو ما تمناه العدو مرارا لكي يتمكن فيه من فرض المعركة في وقت وزمان مناسبين (٦٣) ، بهدف الحاق أكبر الخسائر بالثوار .

---

(63) Tegart Papers ,Box 1,File 3(c) .

الفصل الرابع

حرب العصابات العربية ١٩٣٦-١٩٣٩

أرى من المفيد قبل عرض نماذج لبعض العمليات العسكرية التي حدثت في فترات ومناطق مختلفة، خلال مسيرة الثورة تقديم صورة عامة لمبادئ حرب العصابات بمفهومها العام، بهدف اظهار مدى نجاح أو فشل الثوار الفلسطينيين في تطبيقها (١).

فحرب العصابات (Guerrilla Warfare) تقنية عسكرية، سياسية من تقنيات الحرب الثورية يستخدمها الطرف الاضعف ماديا للتغلب على خصم قوي، عندما يجد أن المجابهة النظامية ليست من مصلحته وأن انتصاره على الخصم يتطلب اللجوء الى الحيلة والخداع، والمرونة، والحركية، ومناعة الارض، والعمل السياسي، وتعاون السكان، ومعرفة مسرح العمليات بشكل جيد (٢). ويلعب الانسان في هذه الحرب دورا فعالا واعيا. ولا جدال أن النصر أو الهزيمة فيها يتوقف على الظروف العسكرية والسياسية والاقتصادية والجغرافية، كما يتوقف على طبيعة الحرب ذاتها والمساعدة العالمية. ولكن هذه العوامل توفر امكانية النصر أو الهزيمة. وليس من شأنها أن تقرر النصر أو الهزيمة بالذات. فاذا أردنا تقرير تلك النتيجة ينبغي علينا أن نبذل الجهود الذاتية أي قيادة الحرب وممارستها، وأظهار الدور الفعال الواعي في الحرب (٣). كما تعتبر المبادرة بما تمثله من حرية عمل لرجال العصابات بمثابة شريان الحياة لهم. ولهذا فان كلا الفريقين المتحاربين يبذل أقصى جهوده لكسب زمام المبادرة وتجنب الوقوع في موقف حرج أثناء الاشتباك.

ويمكن القول أن مبدأ العمليات الهجومية السريعة في الخط الخارجي (أي خلف خطوط العدو) والمرونة والتخطيط من أجل تحقيق هذه العمليات تستهدف جميعا كسب المبادرة

(١) حدثت عمليات ومعارك أخرى كثيرة طوال فترة الثورة أهمها: معركة بئر السبع ١٩٣٦/٥/٢٥، ومعركة بيت امرين ٣٦/٩/٢٩، ومعركة كفرصور ٣٦/١٠/٨، ومعركة أم الفحم ٣٨/١/٣٠، ومعركة وادي بلعمة اوائل ٣٨، ومعركة أم الدرج ٣٨/٩/١١، ومعركة جبل الجرمق ٣٨/٢/٤، ومعركة سيلة الظهر ٣٨/٥/٢٠، ومعركة نابلس ٣٨/٧/١٩، ومعركة دير غسانة ٣٨/٩/١٨، ومعركة اللبات ٣٨/٧/١٩، ومعركة آرى ٣٨/٧/٢٠، ومعركة الكرمل ٣٨/١١/٧، ومعركة حيفا نيسان ١٩٣٩، ومعركة سمسم ٣٩/٤/١٥، (انظر: صبحي ياسين، الثورة، وحرب العصابات).

(٢) الموسوعة العسكرية، الجزء الاول، بيروت ١٩٧٧، ص ٧٢٣.

(3) Moe Tse Tung, op.cit, pp.264-265.

ووضع العدو في موقف حرج وتحقيق الهدف في المحافظة على النفس وهزيمته في النهاية ، بيد أن المبادرة أو الحرج لا يمكن فصله عن تفوق القوى الحربية أو ضعفها ، وبالتالي فهما لا ينفصلان عن صحة القيادة الذاتية أو خطئها (٤).

تكتيك حرب العصابات :

تعتبر حرب العصابات من الناحية الاستراتيجية جزءا مكملا للحرب المتحركة أو الحرب النظامية ضمن اطار الحرب الثورية ، وعلى الرغم من أن استراتيجيتها استراتيجية دفاعية فان تكتيك هذه الحرب تكتيك هجومي ، ورغم اختلال ميزان القوى ضد مصلحة العصابات على المستوى الاستراتيجي ، فانها تسعى الى تأمين التفوق على المستوى التكتيكي ، ولتحقيق ذلك تطبق العصابات تكتيكات هجومية الطابع: كالاغارات ، والكمائن والهجمات على المواقع المنعزلة ، وحرب الألغام والمتفجرات ، وضد المواقع الحساسة بوحدات قصف متحركة ، ولا تستطيع العصابات تنفيذ مهامها التكتيكية وتحقيق التفوق التكتيكي رغم عدم التفوق الاستراتيجي الا اذا لجأت الى الافادة من الديناميكية ، وسرعة الحركة ، والعمل ليلا ، وتجنب الاشتباك في الظروف غير المواتية والخداع والانتشار قبل العملية ، والتجمع خلالها ، ثم الانتشار بعدها والمباغتة ، والافادة من المعلومات الصحيحة عن العدو ، والافادة من معرفة الارض ، والاعتماد على الشجاعة والبداهة والروح المعنوية العالية ، وحسن اختيار الاهداف الحساسة ، والتي يؤدي ضربها الى التأثير على مكامن حساسية العدو (قوته البشرية ، أو خطوط مواصلاته ، أو مستودعات تموينية .. الخ) واتقان عمليات الانسحاب والاختفاء والذوبان بين السكان (٥).

وقد جرى على أرض فلسطين على مدى سنوات الثورة العديد من العمليات العسكرية والمعارك الكبيرة كان مسرحها الجبال وبعض المدن ، وسأحاول من خلال عرض ودراسة وتحليل

---

(4) Moe Tse Tung, op.cit, pp.282-283.

(٥) الموسوعة العسكرية ، ص ٧٢٤.

بعضها رسم صورة واضحة عن التطور الذى طرأ عليها منذ البداية العفوية للثورة وحتي ايقافها عام ١٩٣٩ ،مرورا بالفترة التي حققت فيها المزيد من القوة والالتفاف الجماهيرى ودقة التنظيم .

فقد اتخذت العمليات الأولية العسكرية طابع العمل غير المنظم والارتجالي والخالي تقريبا من التخطيط الدقيق وذلك حتى أواخر آب (اغسطس)عام ١٩٣٦ عند وصول قوة عسكرية نظامية متطوعة يقودها الضابط فوزى القاوقجي ،وتمركزها في الجبال المحيطة بنابلس . وقد بلغ عدد العمليات التي نفذها الثوار العرب عام ١٩٣٦، ٤٠٧٦ عملية منها ١٩٩٦ ضد الافراد اليهود ،و ٨٩٥ ضد ممتلكاتهم ،و ٧٩٥ ضد الجيش والبوليس ،و ٣٨٠ عملية ضد وسائل المواصلات ،وقد قتل خلالها ٢٢٤ ثائرا عربيا وجرح ١١٢٦ آخرين ،وقتل من البريطانيين (جيش وشرطة)٣٣ وجرح ١٩٣ . أما خسائر اليهود فقد بلغت ٨٠ قتيلا و ٣٦٩ جريحا ،ودمر ٨٠٠٠٠ شجرة حمضيات،و ٦٢٠٠٠ شجرة فواكة منوعة ،و ٦٤٠٠٠ شجرة حرجية ،كما تم حرق ٤٠٠٠ فدان من المحاصيل المختلفة .كما خسر العرب ٢١٠ بنادق وثماني وستون مسدسا ،ومائتين واثنى عشر قنبلة وذلك حسب تقدير السلطات البريطانية .وقد تركزت تلك العمليات أساسا على قذف القنابل اليدوية وتصفية بعض العملاء في المدن ،وممارسة عمليات القنص ضد معسكرات الجيش ومراكز البوليس ،ونصب الكمائن للقوافل اليهودية ودوريات الجيش التي تواكبها ،واشعال النيران في مزارع وممتلكات اليهود وقطع أشجارهم . أما العمليات ضد وسائل المواصلات فقد عمت في تلك الفترة "كافة" انحاء البلاد امتدادا من المطلة وحتى رفح . وقد بلغت الخسائر المباشرة للحكومة البريطانية بسبب الاضراب حوالي ٣٥٠٠٠٠٠ جنيه استرليني ،وذلك عدا الخسائر التي نجمت عن توقف التجارة والسياحة الى البلاد (٦) .

ومن الواضح أن سبب هذا التركيز على وسائل المواصلات يعود الى خطورتها وأهميتها

---

(6) Peirse's Despatch.15.10.36/ WO 32/4177.

تاريخ الهاجاناة ،المجلد الثاني ،الجزء الثاني ،تل أبيب ١٩٥٩ ،ص ٦٥٠ (بالعبرية).

Palestine,Vol XII,No 15,April 1937,p.115. And,

H.SideBotham,Great Britain And Palestine,London 1937,p.215.

بالنسبة للسلطات وأيضا لكونها شكلت هدفا سهلا للثوار نظرا لانها اما بريطانية أو يهودية تتحرك في وقت كانت فيه وسائل المواصلات العربية متوقفة تماما بسبب الاضراب.

وفي منتصف شهر أيار (مايو) ١٩٣٦ بدأ مركز النشاط العسكري ينتقل من المدن الى المناطق الريفية والجبلية وأصبحت "جبال نابلس والشمال وتلالها الحرجية والشديدة الانحدار اكثر المناطق غليانا وجذبا للثوار (٧). أما التكتيك الذي اتبع فكان "عبارة عن تجمع مجموعات من الثوار يكمنون في احد سفوح الوديان، أو رؤوس الجبال المنيعة، وينتظرون مرور قافلة من السيارات من أمامهم. فاذا ما مرت اطلقوا عليها النار ثم قفلوا مسرعين كل الى قريته أو بلدته، فينزعون عنهم الأسلحة والعتاد حيث يخفونها في مكان آمن، ثم يختلطون بسكان القرى وكأن شيئا لم يحدث"(٨). هذا هو أسلوب القتال الذي أتبع في البداية. مجموعات من الثوار تكمن على جانب الطريق وتنتظر مرور السيارة الاولى المعادية عليها، بعد قطعها بالحجارة بغض النظر عن قيمتها كهدف تكتيكي أو عدمه. وهذا يعني عدم توفر حد ادنى من التخطيط العسكري الفني الذي يبنى عادة على معلومات دقيقة عن تحركات العدو ونواياه. وقد وصل عدد افراد المجموعة المكلفة بالكمين في بعض الاحيان الى ٢٠٠ رجل متفرغ وشبه متفرغ يتسلحون بكل ما هو متوفر من السلاح من بنادق وخناجر وسيوف وعصى وحتى الحجارة (٩).

وقد حدث تغير جوهري في نوعية العمليات العسكرية ابتداء من شهر حزيران ١٩٣٦ بعد تولي فوزي القاوقجي مهام القائد العام للثورة في فلسطين. فقد كتب الجنرال مارشال بيرز في تقريره قائلا: "لقد أظهر الثوار تصميما أكثر في خوض العمليات كما بدا واضحا أن رجال عسكريين ذوي خبرة عالية بدأوا يخططون لها"، كما كتب في التقرير نفسه أن "العصابات المسلحة التي تألفت في السابق من زمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ١٥ و ٢٠

(7) Peirse's Despatch.15.10.36/ WO 32/4177.

(٨) فلسطين في .. ، ص ٢١ .

(9) Peirse's Despatch.15.10.36, WO 32/4177.

رجلا ،قد أصبحت توجد بزمر يتراوح عدد الواحدة منها بين ٥٠ـ ٧٠ رجلا وهي ليست عصابات للنهب ،بل تمارس ما تعتقد بأنه حرب وطنية تدافع بها عن بلادها في وجه الظلم والتهديد بالسيطرة اليهودية "(١٠) .

وقد برزت أولى مظاهر التطور في خوض العمليات العسكرية اثناء معركة نور الشمس التي قادها عبدالرحيم الحاج محمد يوم ٣٦/٦/٢١ ،والتي جاءت بعد سلسلة عمليات اطلاق نار عشوائية على القوافل اليهودية والقوات البريطانية المكلفة بحمايتها ،وقد بلغ عدد القوات البريطانية التي تمركزت في فلسطين في تلك الفترة ٦ كتائب من المشاة والمدرعات والمدفعية يعززها سرب من الطائرات القاذفة وبعض قطع الاسطول (١١) ،وقد سبق العملية التي بدأت عند الساعة العاشرة صباحا ، والتي اتصفت بالجرأة ،استطلاع مكثف لمسرح العملية قام به القائد شخصيا ،وقد حدد هدفه بتدمير قافلة سيارات يهودية وقوة محمولة بريطانية كانت تواكبها ، وقد قدر عدد القوة التي تم تكليفها للقيام بهذه المهمة بخمسين ثائرا عدا الذين يتطوعون عادة للقتال من القرى المجاورة عند الاشتباك ،وقد تراوح تسليح القوة بين البنادق الحربية القديمة المتنوعة الصنع وبعض القنابل اليدوية ،أما القوة المعادية فكانت تتألف من ست سيارات ركاب يحرسها فصيل مشاة بريطاني محمول ومعزز بمصفحتين ،وقد قدر عدد اليهود والجنود البريطانيين بحوالي ١٧٠ فردا ،عززوا عند الاشتباك بثلاث طائرات حربية جاءت بناء على طلب النجدة من قبل القائد البريطاني المرافق لقوات القافلة ،حيث استخدمت للمرة الاولى في مواجهة مباشرة ضد الثوار ، كما قدمت نجدة بريطانية اخرى تابعة للقوات البريطانية المتمركزة في مدينة نابلس قدرت بفصيلين محمولين ،وقد تمكن الثوار من اشغال هذه النجدة ومنعها من الوصول الى أرض المعركة بواسطة كمين نصب لها قرب دير شرف ،وتلخصت

(10) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

(11) Dill's Despatch, 30.10.36. WO 32/4178.

خطة القائد العام بتقسيم قواته الى ثلاث مفارز ،مهمة المفرزة الاولى تغطية مقدمة القافلة وحصرها بالنيران من الامام ،ومهمة المفرزة الثانية ضرب قلب القافلة بعد وقوعها في المصيدة ،وأما المفرزة الثالثة فقد حدد واجبها بضرب مؤخرة القافلة ،وقد أختار القائد مكانه في مركز المفرزة الثانية ،كما تمركز شائران في نقطتين مخفيتين وموهتين جيدا في مقدمة الكمين على يمين الطريق ،وتمركز ثائر ثالث على يسار الطريق للمراقبة واعطاء الانذار بقدوم العدو واطلاق النار عند دخول آخر سيارة للقافلة ضمن منطقة الكمين ،فور اصطدام مقدمتها بمانع من الحجارة ثم تهيئته مسبقا على الطريق ،وقد استمرت المعركة حوالي سبع ساعات لم يعترف العدو فيها بوقوع خسائر في قواته بل أعلن عن استشهاد بين ٢١ - ٢٥ ثائرا (١٢) ،أما المصادر العربية فقد اعلنت عن استشهاد ثلاثة من الثوار ،وقتل ما يقارب الخمسين جنديا من القوات البريطانية وتدمير ثلاث سيارات واسقاط طائرة حربية (١٣) ،أما سبب التناقض في اظهار الرقم الحقيقي لخسائر الطرفين فهو لاسباب معنوية ،حيث أن كل طرف في هذه الحالة يعلن الرقم الذي يخدم استراتيجيته وخاصة في بداية المعارك حفاظا على المعنويات ،ومع أن البريطانيين انكروا وقوع أي خسائر في صفوفهم فهم لم يذكروا خسائر اليهود الذين يتولون هم حمايتهم ،كما لا استطيع ،بعد مراجعة الوثائق البريطانية السرية ،فيما يتعلق بهذه المعركة استبعاد مبالغة الثوار حول بخسائر البريطانيين ،ويبدو واضحا من خلال عرضنا الملخص لهذه المعركة بأن القائد عبد الرحيم الحاج محمد قد قاد المعركة ونفذها بجرأة ومرونة فائقة ،فقد اختار وقت تنفيذها نهارا مع علمه بأن خسائر قواته قد تكون أكثر وفرص النصر قد تكون اقل مما لو نفذها ليلا ،وليس هناك من سبب في اعتقادي سوى أن القوافل الصهيونية كانت تتوقف ليلا عن الحركة فما من خيار امامه سوى تنفيذها في هذا الوقت بالذات ،أما أن تصمد قوة الكمين في معركة غير متكافئة لمدة

---

(12) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

(١٣) الشاعر ،المصدر السابق ،ص ١٦٨-١٧٠ ،اينما ،

صبحي ياسين ،حرب العصابات ،ص ٨٤ .

٧ ساعات متواصلة بأسلحتها القديمة مقارنة مع اسلحة البريطانيين المتطورة لدليل قاطع على مدى الاستعداد للتضحية والتصميم على خوض النضال المسلح ٠كما يبدو واضحا أن العملية قد أعد لها اعدادا جيدا من حيث التخطيط وحشد القوة وتوزيعها وتحديد مكان الكمين في منطقة وعرة تساعد على ابقاء زمام المبادرة في أيدى قوة الكمين وتكسبه المرونه اثناء خوض المعركة ما تتكه من ايقاع اكبر الخسائر في صفوف الطرف الأخر ٠ولكن نوعية أسلحة الثوار بالمقارنة مع أسلحة البريطانيين المتطورة لم تساعد الثوار في الاستمرار في المعركة حتى النهاية ٠بل جعلتهم يعجلون في الانسحاب للتقليل من الخسائر الى الحد الاقصى ٠

وقد حدث تطور في العمل العسكرى من حيث التنظيم ودقة التخطيط والفاعلية خلال خوض معركة بلعا على طريق نابلس ـ طولكرم بتاريخ ٣٦/٩/٣ التي قادها فوزى القاوقجي بنفسه ٠في وقت بلغ فيه عدد القوات البريطانية في فلسطين ١٨ كتيبة مشاة ومدرعات ومدفعية تعززها الطائرات٠ وقد تلخصت خطة العملية بتقسيم قوة الثوار ٠والتي قدر عددها بخمسين مسلحين بالبنادق القديمة المتنوعة والرشاشات الخفيفة وبعض الألغام الى عدة مفارز ٠كما تم ترتيب خط أساسي للدفاع يشغل قلبه أحدى المفارز وعلى جناحه الأيمن مفرزة ثانية ٠ وعلى يمين هذه المفرزة مفرزة أخرى ٠وعلى الجناح الأيسر مفرزة رابعة ٠كما وضعت ترتيبات اخرى لستر هذا الخط الاساسي ٠وهي عبارة عن مفرزتين قويتين مهمتهما نصب كمين على مقربة من الطريق العامة والتي تم اختيارها للتعرض الى رتل السيارات البريطانية ٠بحيث يتصرف هذا الكمين بنفس الطريقة التي اعتادها الثوار ٠بأن يهاجموا الجنود بالنيران فقط ثم ينسحبون مستدرجينهم الى موقع الثوار الاساسي بعد شطر القوة البريطانية الى قسمين يبتعد احدهما عن ميدان المعركة الاصلي جنوبا دون ان يكون باستطاعته تقديم المساندة للقسم الآخر عندما يشتبك بالخط الرئيسي ٠ أما القسم الثاني فيتم استدراجه الى المواقع الاساسية ٠حيث يضرب من قبل خط الدفاع الاصلي ٠كما تم تركيز عدد من المفارز الصغيرة من الرماة المهرة في اماكن ملائمة لمهمة الدفاع الجوى عند تدخل الطائرات في المعركة ٠

وقد تركزت الزمر الأربعة الرئيسية في الاقسام الناتئة من السفح ، حيث تسيطر نيرانها على الوادي المقابل لها . وقد رتبت على طريقه بحيث تستطيع كل منها حماية مواقع الزمر المجاورة لها بحيث لا يستطيع العدو التقدم نحو زمرة الا ويكون تحت تأثير نيران الزمر الاخرى . أما الهدف فقد تم اختياره بدقة بعد استطلاع مكثف ، وكان للطريق الذي تقع فيه منطقة الكمين أهمية كبيرة لوجود ثنية تلائم الكمائن ولوقوعه على خط القوافل اليهودية التي تواكبها القوات البريطانية القادمة من الشمال او الجنوب عبر طريق نابلس — طولكرم ، والتي تتصل بدورها بطريق حيفا — تل أبيب الرئيسي . كما يسهل لأي قوة تجدة تتقدم على الطريق أن تحيط بجناح الثوار الأيسر ، وتوقع الجبهة في خطر يصعب تلافيه . لذلك جعلت المفرزة الموكل اليها حراسة هذه النقطة قوية جدا بحيث تستطيع صد العدو ، اذا حاول تطويق الثوار من هذه النقطة أو من أية نقطة أخرى ، وذلك لاشرافها على كافة الوديان التي تمكن العدو من الاقتراب الى جناح الدفاع الاساسي الايسر .

سير المعركة :

وصلت القوة بصورة سرية الى نقطة التجمع في قرية بلعا ليلة ١ــ٢/٩/١٩٣٦ . وتم اعطاء قادة المفارز التعليمات الضرورية والاخيرة ، وفهم كل منهم واجبه وعرف مكانه . وفي يوم ٣/٩/٣٦ أحتلت المفارز امكنتها المحددة كما تم زرع الالغام في النقاط الضرورية .

وفي حوالي الساعة ٨٫٣٠ من صباح يوم ٣/٩/٣٦ وعند وصول أول سيارة من القافلة القادمة من حيفا والمكونة من ٢٠ سيارة الى النقطة المعنية ، أطلقت عليها النيران من قبل الكمين المتمركز هناك . ومن ثم ترك مواقعه وانسحب حسب الخطة المرسومة فتبعه الجنود منشطرين الى قسمين أحدهما يتعقب المفرزة الجنوبية وأخر وراء المفرزة الشمالية حتى غابت المفرزة الجنوبية عن الميدان ، ووصلت المفرزة الشمالية الى الخطوط الاساسية . فانفجرت المفارز المتمركزة على التلال بنيران كثيفة مؤثرة من مسافات قريبة . ولم يكن البريطانيون يتوقعون مثل هذه المفاجأة فثبتوا في أماكنهم لفترة طويلة حققت خلالها قوة الكمين نجاحا

كبيرا ،ولم يستطيعوا التقدم أو الانسحاب ،الا حين وصول نجدات عسكرية قدرت بكتيبة معززة بالمدافع والمدرعات وتسع طائرات الى مسرح العملية ،وقد قامت الطائرات بأربع عشرة طلعة لمساعدة كتيبة النجدة وتغطية تقدمها الى مسرح العملية بعد أن اوقفها الثوار بالقرب من رامين لبعض الوقت.

وهكذا استمرت المعركة على جبهة طولها ١٢ كيلومترا قاتل خلالها الثوار قتالا عنيفا وعنيدا قبل أن تتمكن القوات البريطانية من احتلال قرية بلعا الساعة ١٥،٣٠ وتدمير بعض منازلها بعد نفاذ عتاد الثوار وانسحابهم (١٤).

وقد علق الفايس المارشال بيرز (Peirse)القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين وشرق الاردن في تلك الفترة على العملية بقوله "لقد بات من الملاحظ ان تكتيك رجال العصابات وتنظيمهم قد تطور كثيرا ،كما ان قيادتهم اصبحت على درجة عالية من الفعالية". كما اعترف بمقتل ضابطين احدهما طيار وجرح ثلاثة احدهما اصابته خطيرة ومقتل عريف وجرح اثنين اخرين .كما اعترف بتدمير طائرة وأصابة ثلاث اخرى بنيران البنادق كما ادعى استشهاد ١٤ من رجال العصابات(١٥) .أما المندوب السامي السير ارتر واكهوب (Wauchope)فقد اعترف في بيانه الرسمي بتلك الخسائر الا انه لم يعلن الا عن تدمير طائرة واحدة (١٦) مهملا بذلك اعلان اصابات الطائرات .أما الثوار فقد اعلنوا عن مقتل ٨٠ جنديا بريطانيا بينهم عدة ضباط،عدا الجرحى ،واصابة ثلاث طائرات وتعطيل أخرى (١٧). كما اعلنوا عن استيلائهم على رشاش طائرة من طراز بون (١٨).

يبدو واضحا من خلال دراستنا لهذه المعركة مدى الدقة والتنظيم التي اتصفت بهما بالمقارنة مع المعركة الاولى ،فقد تم تحديد اماكن تمركز المغارز بعناية فائقة لضمان ايقاع اكبر

---

(١٤) صبحي ياسين ،حرب العصابات ،ص ٨٨.

(15) Peirse's Despatch, 15.10.36 /WO 32/4177.

(16) HC To Colonial Office, Cable No 679, 3.9.36. CO 733/310/75528.

(١٧) محفوظ،المصدر السابق ،ص ٧١ـ ٧٢ .

(١٨) الريس ،المصدر السابق ،ص ٢٣٣.

الخسائر في صفوف العدو والمحافظة على النفس. كما ان الكمين الذى أوكلت اليه مهمة استدراج العدو الى المواقع الاساسية قد انجز مهمته طبقا للخطة الموضوعة بمهارة وجرأة فائقتين. وهذا عائد الى مستوى الاعداد والتدريب الراقي نسبيا لافراد الكمين. كما انجزت المفارز المخصصة للدفاع الجوى مهمتها بجرأة وشجاعة نادرتين. فقد خففت الضغط عن الثوار وبالتالي حرمت العدو من الغطاء الجوى بعد اصابة عدد من طائراته. مما أثر معنويا وماديا في سير المعركة لصالح الثورة في البداية. والى جانب دقة التنظيم والتخطيط برز ايضا التطور التكتيكي والتكتيكي في استعمال الاسلحة المتوفرة والارض اثناء القتال. كما حقق الثوار عنصر المفاجأة باستخدام الرشاشات لما امنته من كثافة نارية عالية. والالغام لما اوقعته في صفوف البريطانيين من خسائر وارباك.

وقد لوحظ في اعقاب هذه المعركة حدوث تطورات غاية في الأهمية على المستوى السياسي والعسكرى فقد اعلنت الحكومة البريطانية قرارها باتخاذ اجراءات اكثر صرامة وشدة في التعامل مع رجال العصابات من أجل اعادة النظام بما فيها اعلان حالة الطوارئ. كما تم تعيين الجنرال جون ديل (J.Dill)بدلا من الفايس مارشال بيرز (Peirse) قائدا عاما للقوات البريطانية في فلسطين وشرق الاردن يوم ١٩٣٦/٩/١٥ لينفذ تلك الاجراءات. أى استبدال قائد جوى بقائد حربي تابع لسلاح المشاة على أمل ان يكون اكثر نجاحا. بعد وصول تعزيزات كثيرة من الجنود وبعد تنامي قوة الثورة الى درجة يصعب السيطرة عليها. أما على المستوى النفسي فقد تلقى الشعب العربي الفلسطيني اخبار المعركة بارتياح كبير. كما عبر عن ثقته بفوزى القاوقجي واصفا اياه بصلاح الدين (١٩) بعد فترة من فقدان الثقة "بعد ما اشيع في البداية بأنه يقود مجموعة من عسكر "أبى حنيك في

---

(١٩) فلسطين في ٥٠٠٠٠ ص ٢٧.

شرق الاردن هدفهم كشف المجاهدين الفلسطينيين المتسترين وجرهم الى التجمع في معركة مع الانجليز والغدر بهم (٢٠).

الثـورة عـام ١٩٣٧

في ذروة الكفاح الشعبي المسلح وبعد سلسلة العمليات والمجابهات العسكرية التي حدثت بين رجال المقاومة الفلسطينية وبين القوات البريطانية وحلفاءها ،تدخل ملوك ورؤساء العرب مسلحين "بنوايا بريطانية المخلصة" ، "لتحقيق العدالة" ،واصدروا نداءا بوقف الاضراب والثورة المسلحة "حقنا للدماء" (اذاعته الهيئة العربية العليا بتاريخ ١٢/١٠/١٩٣٦) دون تحقيق أى من الاهداف التي نفذ الاضراب من اجلها وخاصة فيما يتعلق بأكثرها الحاحا وهو وقف الهجرة التي اشترطت قيادة الثورة تحقيقه لانهاء الاضراب (٢١). وتعترف المصادر البريطانية التي اهتمت بتلك الفترة جميعها ان النداء لم يوقف الثورة كليا، وان كان قد سادت البلاد حالة من الهدنة المسلحة . فالمناطق التي نشط فيها الثوار، وانتشروا، بقيت تحت سيطرتهم، كما استمرت العمليات ذات الطابع الفردى كعمليات النسف والقنص والاغتيالات السياسية وقطع وسائل المواصلات بكافة انواعها بصورة مستمرة تقريبا . وقد وصلت تلك العمليات الى ذروتها عندما نجحت احدى خلايا القساميين العاملين في المنطقة الشمالية ،بعد محاولتين سابقتين ، في اغتيال حاكم منطقة الجليل لويس اندروز (Lewis Andrews) يوم ٢٦ أيلول (سبتمبر) ١٩٣٧ وبعد تصفية مفتش البوليس حليم البسطا في وقت سابق (٢٢). ويمكننا ان نفهم من ذلك بأن قادة الثورة عاشوا حالة من الترقب والقلق بانتظار نتائج تحقيقات اللجنة الملكية التي وصلت الى فلسطين يوم ١١ تشرين ثاني (نوفمبر) ١٩٣٦ برئاسة ايرل بيل (Earl Peel) أى بعد شهر كامل من وقف الاضراب (٢٣) ،آخذين بعين الاعتبار

(٢٠) الريس ،المصدر السابق ،ص ٢٣٥ .

(21) Marlowe, op.cit., pp.166-171.

(22) Wavell's Despatch, (G.O.C) To WO, 7.4.38.CO 733/379/75528/74/38.
كنفاني ،المصدر السابق ،ص ٦٧ . ايضا ،
عبدالقادر ياسين ،المصدر السابق ،ص ١٧٣ .

(23) Marlowe, op.cit., p.173.

عدم اسقاط الخيار العسكري من الحسبان ولذلك نجدهم حافظوا على درجة معينة من التوتر في كافة انحاء فلسطين حتى يسهل الانتقال منها الى الحرب وخوض القتال الفعلي عند الضرورة. ويبدو أن عملية تصفية حاكم الجليل الذي اثار الانتداب وفق الرغبات الصهيونية، كانت بمثابة اشارة الاستئناف الثورة، ولكن من المنطقة الشمالية هذه المرة. فقد اراد الثوار بذلك افهام بريطانيا عمليا رفضهم القاطع لاقتراح بيل القاضي بتقسيم فلسطين وضم منطقتهم الى الدولة الصهيونية المنوية (٢٤). وقد كانت الاندفاعة الثورية عام ١٩٣٧ لدى جماهير الفلاحين أشد عنفا من تجربة العام المنصرم وذلك بسبب الخبرات المكتسبة وبسبب ازدياد وضوح التناقض القائم بين اطراف الصراع. كما اتجهت هذه المرحلة من الثورة بصورة جوهرية ضد البريطانيين (٢٥). وقد اتخذت الحكومة البريطانية، على أثر ذلك، اجراءات قمعية قاسية ضد المواطنين فقد طوقت القوات البريطانية قراهم ودمرت الكثير من بيوتهم واعتقلت ابناءهم وفرضت عليهم غرامات باهظة ثم اعلنت عن حل الهيئة العربية العليا وأعتبرتها غير شرعية على رغم استنكارها لحادث الاغتيال وطردت المفتي من جميع مناصبه ونفت الكثيرين من وجهاء البلاد وزعمائها الى جزر سيشل (٢٦). ولم تكن هذه الاجراءات القمعية جديدة أو مفاجئة لجماهير الفلاحين، "فقد اعتادوها منذ ايام الاضراب الاولى (٢٧). ولذلك لم تحقق تلك الاجراءات بما اتصفت به من قسوة وشراسة سوى المزيد من الصمود والاصرار على الاستمرار في الثورة حتى تحقيق المطالب العربية المشروعة.

نماذج عن بعض العمليات العسكرية في الجبال في عام ١٩٣٧.

كان يتمركز في فلسطين في تلك الفترة عدا القوات الجوية والبوليس وقوات حرس الحدود لواء ان من المشاة مما سبب خللا واضحا وخطيرا في ميزان القوى بالنظر الى عدد قوات رجال العصابات المتفرغة كليا للقتال والذي لم يزد في يوم من الايام عن ثلاثة آلاف ثائر. كما أصبح

(24) Palestine Royal Commission Report CMD 5479, London 1937, p.384. And,
Marlowe, op.cit., p.179.

(٢٥) كنفاني، المصدر السابق، ص ٦٧.

(26) Marlowe, op.cit., p.185.

(27) Wavell's Despatch. 7.4.38. CO 733/379/75528/74/36.

من المتوقع ان يكون شتاء ١٩٣٧ قاسيا نظرا لاستعداد ورغبة كلا الطرفين في فرض شروطه على الطرف الآخر. فالطرفان اكتسبا خبرة أوسع في ممارسة الحروب الجبلية وحرب العصابات كما أن الطيارين البريطانيين أصبحوا أكثر خبرة وممارسة في طلعاتهم القتالية في الأماكن الجبلية والمأهولة ، بالاضافة الى البدء في شق العديد من الطرق العسكرية. وقد أورد التقرير السنوي للادارة البريطانية عمليات المقاومة في سنة ١٩٣٧ على الشكل الآتي : (٢٨)

- هجمات بالقنابل ضد الجيش والبوليس ١٠٩
- هجمات ضد المستوطنات الصهيونية ١٤٣
- هجمات ضد منازل يملكها بريطانيون ٢

عمليات ضد المصالح الحكومية والبلديات		عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال	
نسف سكك حديدية	٥	ضد الضباط الانجليز	٥
قطع خطوط تلغراف	٨٢	ضد ضباط بوليس بريطانيين وعرب	٦١
نسف طرق	١	ضد اليهود	٨٢
مصالح حكومية أخرى	٣		
أملاك يهودية	١٨		

معركة عرابة :

تمثل هذه المعركة من جهة القوات البريطانية نقلة نوعية اذ أنها خلافا لمعركة بلعا ، فرضت على الثوار اتخاذ مواقع دفاعية حيث كان البريطانيون في موقع الهجوم منذ اللحظات الاولى للمعركة.

---

(28) Annual Report Of Palestine Adminstration, CO 814/12/1937 .

سيـر المعركـة :

كان القائد العام لمنطقة الجليل أبو ابراهيم الكبير ينام في قرية عرابة مع حوالـي خمسين من الثوار. وقد وزعوا حراستهم أثناء الليل على كافة الطرق المشرفة على القريـة لكي يتجنبوا مباغتة العدو. وقد أعطى الحراس تعليمات باطلاق ثلاث رصاصات فـي الهواء في حال تقدم القوات البريطانية. وفي الساعة السابعة صباحا من شتاء يـوم ١٩٣٧/١٢/٢٣ سمع الثوار صوت الطلقات الثلاثة من الناحية الجنوبية الشرقية للقريـة التي اتفق على اطلاقها في حالة الخطر أثناء تناولهم الافطار ، ترك القائد العام طعامـه وقام بتوزيع جنوده ونشرهم في المنطقة الجنوبيةبما يتلائم ومتطلبات خوض معركة دفاعيـة. فأخذ القائد العام على رأس احدى المجموعات واجب الدفاع عن شمال شرق القرية. وأخذ قائدا آخر هو أبو أحمد محمود سالم على رأس احدى المجموعات واجب الدفاع عن الجبهـة التي أطلقت منها النيران والتي تقدمت نحوها القوات البريطانية بمنطقة مسلخيت. قدرت قوة الخصم بسرية من خيالة قوات الحدود الاردنية. وعند اقتراب القوة فاجأها الثـوار باطلاق النار (٢٩). وما أن بدأت المعركة حتى وصلت الطائرات بناء على استغاثـة قائد القوة الى ميدان المعركة. وقد استمرت المعركة التي شارك فيها أيضا ٢٠٠ مـن السكان المحليين (فزيعة) عنيفة وشرسة لمدة أربع ساعات أعلن الثوار على اثرها عـن استشهاد أحدهم وجرح أربعة آخرين ، كما أعلنوا عن مقتل أحد الطيارين وقتل وجرح عـدد من جنود قوة الحدود اضافة الى نفـوق عدد من الخيول كما تم الاستيلاء على ثلاثـة منها وكمية من الذخيرة وبعض قطع السلاح (٣٠). وقد اعترف البريطانيون بجرح أحـد جنودهـم واصابة طيار اصابـة خطيرة ، كما أعلنـوا عن اصابـة ثلاثة طائرات بنيـران البنادق، وبمقتـل خمسـة خيـول من خيـول القـرية ـ كمـا زعمـوا أن الثـوار تكبـدوا

---

(29) Wavell's (G.O.C.) Despatch,7.4.38,CO 733/379/75528/74/38 .

(٣٠) صبحي ياسين ، حرب العصابات ، ص ٩٧ ـ ٩٨ .

١٨ اصابة بين شهيد وجريح (٣١).

لم تنته المعركة عند هذا الحد ، فقد قدمت الى مسرح العملية قوات متحركة كبيرة تابعة للواء المشاة السادس عشر قدرت بكتيبة مشاة معززة بقيادة الميجر ستامر (Stammer)حيث طاردت القوة المنسحبة حتى باب عامود بالقرب من طبريا يوم ١٩٣٧/١٢/٢٤ . وقد قامت الطائرات بطلعات عدة في تلك المنطقة بحثا عن الثوار بغرض قصفهم . وقد تمكنت فصائل من الكتيبة الثانية التابعة للواء السادس عشر ، التي كانت تقوم بتمشيط احد الوديان القريبة من محاصرة قوة الثوار (٣٢).

وبدأت على اثر ذلك معركة أخرى عند الظهر في منطقة تبعد ثمانية كيلومترات فقط عن المكان الذى وقعت فيه معركة حطين الشهيرة . وقد قاتل الثوار ببسالة نادرة واستمرت المعركة الى مابعد الغروب . وأعلن الثوار أن القوات البريطانية خسرت أكثر من ١٢٠ جنديا ، واستشهد من الثوار ثمانية ، وجرح اثنان . وقد اعترف البريطانيون بمقتل أحد الضباط برتبة ملازم ، وجندى واحد واصابة اثنان آخران بجروح . كما أعلنوا عن تكبيد الثوار ٢٩ اصابة .

من الملاحظ أن المعارك التي استأنفت في شتاء ١٩٣٧ اختلفت في أمور وظواهر كثيرة عن تلك التي حدثت في فترات سابقة . فهي أولا تدور على مسرح عمليات مختلف عن ذلك الذى حدثت فيه في فترة الاضراب الكبير ، والتي بدأت في جبال نابلس . فمنطقة الجليل بمسالكها وجبالها وغاباتها الكثيفة التي تغطي معظم التلال هي الآن الميدان الرئيسي للعمليات . كما أن المعارك أصبحت أقرب الى الحدود منها الى المناطق الداخلية في فلسطين وهذا عائد الى الحاجة الماسة لاستمرار تدفق الاسلحة والذخائر عبر الحدود الاردنية والسورية واللبنانية ، والى الحاجة الى مؤخرة أمينة يسهل الالتجاء اليها وقت

---

(31) Wavell's Despatch,7.4.38, CO 733/379/75528/74/38 .

(32) Wavell's Despatch ,7.4.38, CO 733/379/75528/74/38.

أيضا ، صبحي ياسين ، حرب العصابات ، ص ٩٨ .

الضرورة،وعند التطويق • وهناك ظاهرة هامة أخرى وهي أن القوات البريطانية بدأت تعمل من أجل استرداد زمام المبادرة ومحاولة التمسك بها • فقد بدت مصممة على استعادة السيطرة على المناطق الخارجة عن سلطتها ولذلك قام الجنرال ويفل (Wavell)القائد البريطاني الجديد بغرز قوات ضخمة مدربة على مقاومة حرب العصابات للعمل في هذا المجال • وقسمت تلك القوات الى فصائل متحركة تقوم بأعمال الدوريات المستمرة والمنتظمة طوال أشهر السنة • ففي فصل الشتاء مثلا حيث يصعب التنقل والاتصال كانت الطائرات تقذف مواد التموين والاسلحة والذخائر على مناطق تلك الفصائل بواسطة المظلات(٣٣) • وبذلك يكون الجنرال ويفل هو الذى رسم استراتيجية متطورة أثبتت فعاليتها(كما سنرى) في الضغط على الثوار وانهاكهم •

كما يمكننا ملاحظة ظاهرة هامة أخرى وهي ان رجال المقاومة بدوا أكثر وعيا وتدريبا من السابق فلم يعد من السهل اصطيادهم • وبدا واضحا أنهم يملكون الحس الأمني ولذلك نجدهم في يقظة دائما وهم يحرسون مكان استراحتهم الموقت مهما بدا المكان منيعا أو أمينا • كما أن المفارز المختلفة بدت أكثر وعيا لواجباتها ومهامها • وقد بدت سيطرة القائد تامة على قواته طوال مراحل القتال التي يمكن القول بأنها استمرت يومين تعرضت خلالها للتطويق مرتين مستفيدة من الطبيعة الى أقصى حد والتمويه والاختفاء ومن ثم الانسحاب بنجاح والافلات من الطوق بعد نفاذ الذخيرة ، وبعد معركة دفاعية ناجحة تقريبا • كل ذلك ناتج عن الوعي الكامل للقضية التي يقاتلون من أجل انتصارها ، والخبرة القتالية التي تم اكتسابها والتدريب الجيد الذى تم عليها أثناء خوض القتال وليس نظريا في معسكرات التدريب التي لم تكن متوفرة على الاطلاق • كل ذلك ساعد كثيرا على التغلب الى حد كبير على النقص في الاسلحة ذات المستوى المتطور مقارنة بأسلحة البريطانيين •

---

(33) Wavell's Despatch,7.4.38,CO 733/379/75528/74/38 .

الثـــورة عـــام ١٩٣٨ :

أخذت الثورة، مستفيدة من أنشغال بريطانيا في أزمة ميونخ الاوربية عام ١٩٣٨ تزداد عنفا نتيجة للتنظيم الجيد والخبرة الممتازة اللذان اكتسبتهما في المرحلة السابقة (٣٤). بحيث امتدت سيطرة الثوار على معظم الطرق وعلى الكثير من المدن. كما أظهروا نشاطا بـــارزا في مناطق الجليل وجنين ونابلس والمنطقة الوسطى والجنوبية. كما نجحوا في تدميـــر محطات السكك الحديدية الواقعة بين القدس واللد وبين اللد والحدود المصرية. كمـــا هاجموا معظم مراكز الشرطة حيث قتل في احداها السير موفات (Moffat) مديـــر بوليس جنين في مكتبه. وبحلول الصيف كان الثوار قد سيطروا تماما على معظم المناطـــق الجبلية في البلاد الى درجة أنهم كانوا يسيرون في مدينة نابلس على سبيل المثال بحريـــة تامة في وضح النهار وأسلحتهم الكاملة (٣٥). ومما يدل على عنف الثورة ونجاحها النسبـــي انخفاض معدل الهجرة الى عشرة آلاف مهاجر في ذلك العام مقارنة بـ ١٢٫٠٠٠ مهاجـــر يهودي دخلوا البلاد عام ١٩٣٠ (٣٦). وماأورده التقرير البريطاني لعام ١٩٣٨ عـــن الزيادة في نفقات الأمن العام (٣٧) والعمليات التي قام بها الثوار والتي ركزت على أهـــداف اقتصادية ذات أهمية كبيرة بالنسبة لبريطانية، وخاصة خط أنابيب شركة النفط العراقيـــة (I.P.C.)حيث بلغ مجموع عمليات النسف التي استهدفته ١٠٤ مرات خلال العـــام المذكور. وقد أورد التقرير المذكور عدد الاصابات على الشكل الآتي : مقتل ٦٣ جنديـــا

---

(34) Report On Palestine & Trans-Jordan 1938, Colonial No.166, (London 1939), p.6.

(35) Porath, op.cit., pp.237-239.

(36) Marlowe, op.cit., p.197.

(٣٧) بلغت تلك النفقات ١٫٠٣٤٫٨٢٥ جنيها استرلينيا عام ٣٨، مقارنة بحوالي ٨٦٧٫٢١٥ جنيها عام ١٩٣٧، و ٦٤١٫٢٧٦ جنيها عام ١٩٣٦. انظـر :

Report On Palestine & Trans-Jordan 1936, p.116; 1937, p.106; 1938, p.110

بريطانيا وجرح ٢٠٠ اضافة الى مقتل اثنى عشر شرطيا وجرح خمسة عشر آخرين. كما قتل ٢٥٥ يهوديا وجرح ٣٩٠ مقابل ٥٠٣ شهداء من العرب وجرح ٥٩٨ .

نوع العمليات	عدد العمليات
ـ هجوم وعمليات قنص على أفراد اليهود	١٧٦
ـ هجوم وعمليات قنص على الجيش والبوليس البريطاني	١٨٦
ـ هجوم على وسائل المواصلات	٣٣٥
ـ اطلاق نار على المستوطنات والاحياء اليهودية	٦٥١
ـ القاء قنابل	٣٣١
ـ عمليات خطف	٢١٥
ـ اتلاف أملاك يهودية	٤١٠
ـ عمليات تخريب تليفونات	٧٢٠
ـ تخريب السكك الحديدية والطرق	٣٤١
ـ تخريب أملاك حكومية أخرى	٢١٠
ـ تخريب خط أنابيب شركة البترول العراقية (I .P . C.)	١٠٤
ـ عمليات اغتيال ومحاولات اغتيال	٤٩٠ (٣٨)

وقد انحصر ميدان نشاط الثورة في البداية تقريبا في المنطقة الشمالية وفي جبل الخليل ثم امتدت حتى شملت أراض فلسطين كلها . وقد اعترف قادة القوات البريطانية في تقاريرهم المنتظمة بأنه لم يكن يمر أسبوع دون وقوع معركة كبرى. كما ازداد عدد الثوار بشكل ملحوظ في المنطقة الواقعة شرق طريق جنين ـ ونابلس خلال الفترة الممتدة من

---

(38) Report On Palestine & Tras-Jordan,1938,pp.19-20 .

الاسبوع الاول من شهر شباط والثالث من آذار (مارس) وهو اليوم الذى وقعت فيه معركة اليامون (٣٩).

معركة اليامون

سير المعركة :

كان يتولى أمور قيادة منطقة نابلس - جنين في تلك الفترة الشيخ عطية أحد أتباع الشيخ القسام وممن اشتركوا الى جانب الشيخ فرحان السعدى في العملية العسكرية يوم ١٩٣٦/٤/١٦ في المنطقة ذاتها (٤٠).

والسبب الرئيسي لمعركة اليامون كان اقدام الشيخ عطية في وقت سابق على رأس أربعة فصائل من الثوار مسلحين بالرشاشات والبنادق على تطويق مدينة جنين من جميع جهاتها ونجاحه في الاغارة على مراكز البوليس والجيش فيها والاستيلاء على كل مافيها من ذخيرة وبنادق . وقيام فصيل بمهاجمة قوات الجيش المتمركزة في نابلس، بآخر بنصب كمين للدوريات العسكرية على طريق نابلس- جنين ومن ثم الانسحاب بنجاح الى الجبال (٤١). وعلى اثر هذه المعركة الناجحة للثوار أصدر البريجادير ايفتس (Evetts) قائد اللواء السادس عشر أوامره للقوات المتحركة بالتوجه الى منطقة جنين وتمشيطها (٤٢)، وخاصة بعد شق العديد من الطرق في الجبال بهدف تسهيل حركة القوات .

وبعد قيام الشيخ عطية بالاستطلاعات الضرورية ، وبعد دراسة الموقف وتقديره له ، توقع قيام القوات البريطانية بعملية انتقامية كبيرة ضد قواته ، خاصة بعد نجاحه في عليه

---

(39) Wavell's Despatch,7.4.38, CO 733/379/75528/74/38 .

(٤٠) زعيتر ، يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥-١٩٣٩، (بيروت ١٩٨٠)، ص ٣٧٤، ايضا ، صبحي ياسين ، حرب العصابات ، ص ٩٤ .

(٤١) زعيتر ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤ .

(42) Wavell's Despatch,7.4.38, CO 733/379/75528/74/38 .

جنين • ولذلك استعد لمعركة طويلة وقام باحتلال مراكز مشرفة على نقاط التقرب ووزع قواته بحيث احتل فريق من الثوار مواقع في رابا (جنين) واحتل فريق آخر رؤوس الجبال من كفردان الى اليامون (جنين) (٤٣).

وقد بدأت المعركة عند الساعة العاشرة صباح يوم ١٩٣٨/٣/٣ بعد نجاح القوة البريطانية في فرض طوق حول مواقع الثوار واستمرت حتى حلول الظلام ، عندما استطاع الثوار فتح ثغرة ومن ثم الانسحاب • وقد اشترك فيها حوالي ثلاثة آلاف جندي بريطاني بالاضافة الى مفرزة من قوات الحدود الاردنية وتسع طائرات استدعيت بعد ١٥ دقيقة من بداية الاشتباك مقابل ٣٠٠ ثائر فلسطيني • وقد اعترفت القوات البريطانية بجرح ضابط ومقتل جندي وجرح آخرين واصابة ٥ طائرات اصابات طفيفة • كما ادعت استشهاد ٦٠ ثائرا وأسر ١٦ آخرين (٤٤) • أما الثوار فقد أعلنوا من جانبهم عن استشهاد تسعة كان أحدهم الشيخ عطية نفسه بالاضافة الى أكثر من ثلاثين مناضلا من النجدات العربية وسقوط عدد كبير من الجرحى • كما أعلنوا عن مقتل وجرح أكثر من ٧٠ بريطانيا (٤٥) • وقد حاولت القيادة البريطانية من خلال هذه المعركة مفاجأة الثوار والقضاء على قيادة الثورة في المنطقة باستدراج أكبر عدد من المقاتلين والقوات المحلية • وقد استطاع الثوار الصمود على جبهة طولها كيلومترين ، حيث قاتلوا قتالا عنيدا ومتقارب الجانبين (٤٦) • ويذكر البريطانيون أن سبب عدم تكبدهم خسائر كبيرة يعود لاطلاق النار غير المؤثر من جانب الثوار الصادر عن أسلحة عتيقة ، بالمقارنة مع المدفعية الثقيلة والطائرات التي وصل تعدادها أحيانا الى ستة في سماء المعركة دفعة واحدة والتي لعبت الدور الفعال في تلك المناطق عكس جندي المشاة

---

(٤٣) أكرم زعيتر ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤ •

(٤٤) صبحي ياسين ، حرب العصابات ، ص ٩٥ • ايضا ، زعيتر ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤ •

(٤٥) صبحي ياسين ، حرب العصابات ، ص ٩٦ • ايضا ، زعيتر ، المصدر السابق ، ص ٣٧٤ •

(46) Wavell's (G.O.C.) Despatch, 7.4.38, CO 733/379/75528/74/38.

الذى تحرك فيها بصعوبة بالغة نظرا لوعورة وصعوبة مسالكها • ورغم ذلك فقد اعترفوا بـــأن الثوار قد تمكنوا من الانسحاب بنجاح بعد قتال رائع في ظروف غاية في الصعوبة والتعقيـــد وفي مواقع لم تكن ملائمة لهم على الاطلاق (٤٧) • وقد أظهر الثوار رغم خسائرهم الكبيـــرة بالمقارنة مع المعارك السابقة مقدرة كبيرة على خوض معركة دفاعية ناجحة نسبيا خطط العدو لها،وحشد لها قوات متفوقة كثيرا بعد أن أفقدوه عنصر المفاجأة كما أظهروا براعة فائقـــــة في حرية الحركة والتخلص من الطوق وبالتالي الحفاظ على قواتهم من أجل معارك قادمـــــة وافشال خطة العدو والتي استهدفت تطويقهم واستدراجهم لمواجهته وبالتالي ابادتهم تماما •

(نمـــاذج من عمليـــات المـــدن)

بحلول نهاية شهر آب (اغسطس) ١٩٣٨ وعلى الرغم من الاجراءات التأديبية الشديدة ضد الجماهير المساندة للثورة ، كانت الادارة الحكومية المدنية في المدن الرئيسية قـــــد انهارت انهيارا يكاد يكون تاما وذلك بسبب الغارات المنظمة على المكاتب الحكومية والتي كان يسهلها البوليس العربي المتعاطف كليا مع الثورة • وقد أعرب الجنرال هاينتج عن اعتقـــاده بأن تزايد الغارات في المدن والدمار الذى أصيبت به ممتلكات الحكومة وطرقاتها " من أعـــراض ماأصبح الآن روحا ثورية عميقة الجذور اجتاحت السكان العرب قاطبة وحفزتهم اليها الدعـــوة الى حرب مقدسة • وقد بلغت سيطرة الثوار على جماهير الشعب حدا يمكننا من القول بـــأن كل عربي في البلاد يعد بمثابة عدو كامن للحكومة مهما بلغت عواطفه الشخصية من الاعتدال"(٤٨) فقد استطاع الثوار في تلك الفترة التسلل الى قلب بعض المدن الرئيسية ومهاجمتها • منهـــا على سبيل المثال بئر السبع وطبريا والقدس ولم يكن هذا في اعتقادى نتيجة لتنامي قوة الثـــوار في المدن فقط ، ولكنه جاء أساسا نتيجة لدفع العديد من الثوار اليها بعد الضغط عليهـــم

---

(47) Wavell's Despatch ,7.4.38, CO 733/379/75528/74/38 .

(48) Haining's Report,31.10.38, CO 733/379/75528/74/38 .

نتيجة للاستراتيجية الهجومية التي مارستها القوات البريطانية في تلك الفترة ضد الثـــوار المتمركزين في الجبال ، بحيث أصبحوا يبحثون عن ميدان العمليات الاسهل وقد مثلتـــه المدينة والاقل خطرا والاضمن نجاحا بأقل خسائر ممكنة وهذا ماسنراه واضحا في العمليات التي استهدفت مدن ثلاث ، هذا مع عدم استبعاد هدف حاول الثوار تحقيقه بجسر أو استدراج قسم من القوات البريطانية العاملة ضد الثوار في الجبال الى ميدان آخر بهـــدف تشتيتها وبالتالي اضعافها وتخفيف الضغط عنهم .

الهجـوم على بئـر السبـع :

بحلول شهر أيلول (سبتمبر)عام ١٩٣٨ امتدت الثورة الى منطقة بئر السبع جنوبـــا بعد أن اعتقد البريطانيون خطأ بأن المنطقة لا تساهم بقليل أو كثير في الثورة أو المجهـــود الحربي نظرا لبعدها وقلة عدد السكان اليهود فيها . ففي يوم ١٩٣٨/٩/٩ بدأ قائد منطقـة الخليل القائد الجولاني باعداد خطة للهجوم على مدينة بئر السبع بهدف الاستيلاء علـــى أسلحة الجيش والبوليس هناك لتسليح قواته ومؤيديه . وقد جهز لتلك العملية ٦٠ مناضـــلا نقلتهم أربع سيارات شحن كبيرة، في كل منها ١٥ ثائرا بالاضافة الى بعض الثوار من غزة . أمـا قوة البريطانيين فكانت عبارة عن خمسة أفراد شرطة وضابط بالاضافة الى أفراد البوليس العرب. وقد تم تنفيذ خطة الهجوم عند الظهر من اليوم المذكور بعد اتمام عملية تطويق المدينة مـــن جهاتها الأربع(٤٩) . وقد تمكن فصيل القيادة من دخولها والاستيلاء على مخازن الســـلاح وهي عبارة عن بنادق ورشاشات ومسدسات وقنابل يدوية وكميات أخرى من الذخائر(٥٠) .وبذلك

---

(٤٩) صبحي ياسين ، حرب العصابات ، ص ١٢٠ .

(50) Haining's Report,24.4.39, CO 733/404/75528/74/39 .And, Air 5/1248,Monthly Summaries Of Events 1938-39. And , Haining's Papers,DS.126, Middle East Centre,St.Antony's College , Oxford .

استطاع الجولاني تسليح بعض أفراد الشعب كما استطاع التفرغ للعمليات الحربيـــة بصورة أكثر تنظيمـا .

وبعد اخلاء دائرة البوليس من قبل عناصرها قام الثوار باحراقها بعد ذلك ، وكـان من نتيجة المعركة مقتل كبير موظفي البوليس البريطاني وجرح عدد آخر من الشرطة ، كما تـم الاستيلاء على عشرين بندقية وكمية كبيرة من الذخيرة وعلى بعض الوثائق الهامة . وقد انسحب الثوار في الصباح بعد انجاز مهمتهم (٥١) . وكانت هذه المعركة أول معركة كبيرة وناجحـة تقع في الجنوب وذلك نظرا للمفاجأة والسرية التي أحيطت بها العملية بالاضافة الى تفـوق قوة الثوار الساحق بالمقارنة مع قوات الخصم .

الاغـــارة علـى طبريـــا :

وضع قائد المنطقة الشمالية أبو ابراهيم الكبير ومعاونيه خطة عسكرية بارعة للهجوم علـى مدينة طبريا . وقد حشد لهذه المهمة التي قادها بنفسه ٣٠٠ ثائرا (٥٢) . وقد تلخصـت الخطة بتقسيم قوة الهجوم الى خمس مجموعات تقوم الاولى بالهجوم على سرايا الحكومة ، وحدد واجب الثانية بالهجوم على معسكر الجيش البريطاني المقابل للسرايا والمجموعة الثالثة باحتلال الحي اليهودي الذي يقع في وسط المدينة بهدف الاستيلاء على أسلحتهم . كما تمركـزت مجموعتان ، واحدة على طريق طبريا ـ سمخ لمنع وصول النجدات ، وأخرى على طريق صفـد ـ طبريا لهذا الغرض أيضا . وقد استمرت العملية خمس ساعات كاملة من الساعة العاشرة مـن ليلة ٢ـ٣/١٠/١٩٣٨ وحتى مطلع الفجر انسحب الثوار بعدها (٥٣) دون أن يصابوا بأدنى خسارة ، بعد أن قتلوا ١٩ مستوطنا يهوديا (٥٤) . وقد اعترضتهم أثناء الانسحاب قـوة

---

(٥١) زعيتر ، المصدر السابق ، ص ٤٤٧ .

(٥٢) زعيتر ، المصدر السابق ، ص ٤٥٩ .

(٥٣) صبحي ياسين ، حرب العصابات ، ص ١٢٤ ـ ١٢٥ .

(٥٤) تاريخ الهاجاناه ، ٦١٨ .

معادية من الفصائل المتحركة (انظر التفاصيل في الفصل التالي) صدف قيامها بداورية في منطقة على مقربة من حطين حيث وقعت معركة اشتركت فيها أيضا المغارز الخاصة البريطانية استشهد على اثرها عدد من الثوار قبل أن يتمكنوا من الافلات من الطوق (٥٥).

عملية القدس :

كان يتمركز في القدس أكثر من ثلاثمائة شرطي والعديد من الجنود حين قرر الثوار السيطرة عليها (٥٦). فقد اجتمع قادة الثوار العاملين داخل القدس وعلى رأسهم قائد المنطقة عارف عبد الرازق على اثر الاستفزازات الانجليزية لمشاعر المسلمين باحتلالهم مخفر " البراق " في المدينة ، ووضعوا خطة للسيطرة عليها بعد تقدير الموقف بناء على المعلومات التي تم تجميعها نتيجة للاستطلاعات التي قام بها الثوار ومعاونوهم من الشرطة العربية . وفي صباح ١٣/٩/١٩٣٨ بدأ الثوار بتنفيذ الخطة فأعلنوا الاضراب العام داخل الأسوار كما فرضوا منع التجول من أجل تسهيل تحركهم . وفي الساعة الثانية صباحا ، قامت مغارز الثوار العاملة في القدس جميعها بالهجوم على مراكز الشرطة واحتلالها دون مقاومة تذكر . كما استولوا على أسلحة الشرطة بكاملها . وقامت مفرزة أخرى بالهجوم على مخفر البراق وتمكنت من احتلاله بعد قتل أربعة من الانجليز والاستيلاء على أسلحتهم . كما تابعت المغارز تنفيذ الخطة المرسومة باتقان ودقة وسرعة حتى أصبحت مدينة القدس بيد القوات العربية . وخلال فترة الاحتلال حدثت عدة اشتباكات متفرقة قتل فيها عدد من الانجليز واستشهد أكثر من ٤٠ من العرب معظمهم من أفراد الشعب العزل ، مما اضطر الثوار الى الانسحاب عندما هدد الانجليز بضرب الأماكن المقدسة التاريخية بالمدافع (٥٧). وقد اعترف الجنرال هاينج

---

(55) C.Sykes, Orde Wingate, (London 1959),p.181.

(56) Tegart Papers,Box 2 ,File 4,D.S,126-2. ,Middle East Centre,St.Antony's College,Oxford.

(٥٧) صبحي ياسين ، حرب العصابات ، ص ١٢١-١٢٢ .

في تقريره المؤرخ في ١٩/١٠/١٩٣٨ بهذه العملية قائلا : " أصبحت المدينة المقدسة ، بحلول السابع عشر من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣٨ تحت السيطرة الفعلية للثوار(٥٨) . كما اعترف مدير عام البوليس شارلز تيجرت بأن الثوار قد أسسوا محكمة خاصة بهم في منطقة الحرم خلال تلك الفترة(٥٩) . ولم تستطع الحكومة استعادة السيطرة عليها الا بعد انتقال السلطة فيها للعسكريين الذين قرروا تطويقها واحتلالها بواسطة الفرقة السابعة مشاة ، والتي لم تتمكن من دخولها الا بعد استخدام عدد كبير من السكان المحليين كدرع بشرى أمام القوات المهاجمة .

(عام ١٩٣٩ نهاية الثورة)

كانت عملية القدس آخر عملية كبيرة قام بها الثوار الفلسطينيين ضد السلطة البريطانية . وهذا لا يعني أن المعارك قد توقفت ضد البريطانيين وان كان معدلها قد هبط ، اذ بلغ مجموع العمليات ٩٥٢ عملية مختلفة في ذلك العام(٦٠) . ولكن زمام المبادرة قد فقد من الثوار تماما ، بعد انتقالها الى أيدى القوات البريطانية التي أمسكت بها بقوة وتحولت الى موقع الهجوم . وهذا يعني أن موقف الثوار العرب أصبح حرجا للغاية نظرا لاستحالة تمكنهم من فرض المعركة بالشروط التي تلائمهم كالسابق . فالقوات البريطانية بدأت في عملية نزع سلاح عامة بالتعاون مع العناصر المعادية للثورة ، استطاعت خلالها الاستيلاء على ٢٠٧٦ بندقية ، ٧٨٥ مسدس ، ٢٣٥ بندقية صيد كما استطاعت احتلال وتفتيش ٧٥٨ قرية حتى تموز (يوليو) ١٩٣٩(٦١) . كما أدى الضغط المتزايد الى انهاك الثوار واهتزاز تنظيماتهم

---

(58) Haining's Report, 19.10. 38,CO 733/379/75528/74/38.
(59) Tegart Papers,Box 2,File 4,DS. 126-2.
(60) WO 201/2/134, 16th Infantry Brigade Intelligence Summaries.
(61) Haining's Report, 30.7.39,CO 733/404/75528/74/39.

وخاصة بعد فقدان القيادة العسكرية والسياسية الفعالة القادرة على تحدى تفوق الخصم الساحق. فالقيادة العسكرية لم تعد موجودة في الداخل من الناحية الفعلية ، وخاصة بعد استشهاد القائد العام عبد الرحيم الحاج محمد في آذار (مارس) ١٩٣٩ وقيام عارف عبد الرازق بتسليم نفسه للسلطات الفرنسية على الحدود اللبنانية (٦٢)، ووجود عبد القادر الحسيني خارج البلاد منذ خريف عام ١٩٣٨ (٦٣). وأما القيادة السياسية التي كانت أساسا بعيدة في دمشق لم تعد موجودة حتى هناك بعد قيام السلطات الفرنسية بتضييق الخناق على أعضائها عشية الحرب العالمية الثانية(٦٤).

---

(٦٢) زعيتر ، المصدر السابق ، ص ٥٨٧ ـ ٥٨٩ .

(٦٣) نبيل الآغا ، قضية فلسطين في سيرة بطل : الشهيد الحي عبد القادر الحسيني ، (بيروت ، ١٩٨٠)، ص ٢٦ـ٢٧.

(٦٤) عارف العارف ، مذكرات غزة ١٩٣٩ـ١٩٤٠ والموجودة في :
(Middle East Centre, St.Antony's College, Oxford, pp.125,131).

الفصل الخامس

الاجراءات البريطانية المضادة للثورة

القوات البريطانية في فلسطين ١٩٣٦-١٩٣٩ .

طبقت القيادة العسكرية البريطانية في فلسطين وشرق الاردن استراتيجية عسكرية دفاعية خلال المرحلة الاولى من الثورة الفلسطينية أى في عام ١٩٣٦ .فقد اعتمد الفايس مارشال بيرز (Peirse) القائد العام للقوات البريطانية في تلك الفترة اعتمادا أساسيا على سلاح الطيران في الرد على هجمات الثوار،بالتعاون مع القوات البرية القليلة العدد نسبيا . ولم تتعد واجبات تلك القوات في البداية عن القيام بدوريات على الطرق الرئيسية ومواكبة القوافل اليهودية وحماية الموانئ ومصفاة البترول ،ولم تحاول المبادرة بشن أى هجوم ضد الثوار في المناطق الجبلية بعد انتقالهم اليها على أثر ازدياد الضغط عليهم داخل المدن التي تركز نشاط تلك القوات فيها وحولها (١) .

وقد كان أبرز عمليات الضغط تلك هي قيام السلطات البريطانية بنسف جزء كبير من مدينة يافا بهدف ترويع الثوار واجبارهم على الاستسلام بالاضافة الى اهداف امنية أخرى سأتي على ذكرها بعد قليل .

وفي فترة لاحقة ،وبعد تسلم الجنرال جون ديل (J.Dill) القيادة من الفايس مارشال بيرز،طور تلك الاستراتيجية بحيث أصبحت تعتمد اعتمادا أساسيا على حشد اكبر عدد ممكن من الجنود والمدرعات والعمل بالتعاون الكامل مع سلاح الطيران .ولكن هذه الاستراتيجية بقيت دفاعية أيضا ولم تحقق الهدف الذى رسمته القيادة البريطانية في اخماد الثورة .

وفي المرحلة الثانية من الثورة ١٩٣٧-١٩٣٩ ، حدث تقدم كبير على استراتيجية

---

(1) Marlowe, op.cit.,p.153.

وتكتيكات تلك القوات. فبمجرد تسلم الجنرال ويفل (Wavell)أمور القيادة لجأ الى تطوير تلك الاستراتيجية بحيث استبدلها باستراتيجية عسكرية هجومية متحركة أكثر شمولا ،بغرض استرداد زمام المبادرة من الثوار ودحرهم .وفي سبيل تحقيق هذا الهدف أمر بتشكيل فصائل متحركة تعمل على مدار السنة في المناطق الواقعة تحت سيطرة الثوار لحرمانهم من القواعد الامينة التي اعتادوا التمركز فيها بين جماهير الفلاحين .وأمر ببناء السور الحديدي على الحدود الشمالية لمنع تسلل الثوار،ومنع تهريب الاعتدة والذخائر اليهم،وبالتالي عزلهم عن البلاد المحيطة .كما أعطى الضوء الاخضر للكابتن وينجيت(Orde Wingate)لتشكيل المغارز الليلية الخاصة (Special Night Squads)والتي لعبت دورا خطيرا الى جانب الفصائل المتحركة في مطاردة الثوار واجهاض عملياتهم ودفعهم للعودة ثانية الى المدن حيث سهل حصارهم ودحرهم في النهاية. وعندما تسلم الجنرال هاينتج (Haining)القيادة من الجنرال ويفل وجد الطريق امامه ممهدة تماما لاستكمال تنفيذ الخطط التي رسمها سلفه وخاصة بعد خلق انشقاق داخلي في صفوف الجماهير الفلسطينية والذي وصل الى ذروته بتشكيل فصائل السلام باشراف السلطة ووقوفها في الخندق المعادي للثورة وذلك بهدف عزل الثورة عن جماهيرها . وبذلك تكون القيادة العسكرية البريطانية قد بنت استراتيجيتها العسكرية على فعالية سلاح الطيران في البداية ثم تطورت بحيث اصبحت تعتمد على حشد وتركيز أكبر عدد ممكن من القوات البرية لتعمل بالتعاون مع سلاح الطيران.

أما المرحلة الأخيرة فقد كانت أكثرها نجاحا بعد اعتمادها استراتيجية الحرب المتحركة ضد الثوار حيث استطاعت استرداد زمام المبادرة وأوقعت خسائر كبيرة في صفوفهم بعد تحول ميزان القوى بشكل ساحق الى جانبهم .وبذلك تكون القوات البريطانية قد طبقت مبادىء حرب العصابات بنجاح اكبر مما حققه الثوار حتى تمكنت في آخر الأمر من افقادهم توازنهم وقوة اندفاعهم.

التنظيم العسكري عام ١٩٣٦.

لم تكن الحامية البريطانية في فلسطين تزيد على الخمسة آلاف جندي عام ١٩٢١ بالاضافة

الى حوالي ١٣٠٠ شرطي.تم تجنيدهم من السكان المحليين (٢) .وقد وضعت تلك القوات بأمرة قائد عام،مركزه مدينة القدس ،ويتبع المندوب السامي الذى هو القائد الأعلى.من الناحية النظرية. ولكن من الناحية العملية يتبع القائد العام للقوات البريطانية في منطقة الشرق الاوسط ومركزه القاهرة. وقد قسمت فلسطين الى ثلاث مناطق عسكرية على الوجه التالي (٣) :

١ ـ المنطقة الشمالية : وتشمل مناطق الجليل وحيفا وضواحي جنين .

٢ ـ المنطقة الجنوبية : وتشمل مناطق اللد وغزة وضواحي نابلس وطولكرم .

٣ ـ المنطقة الشرقية : وتشمل منطقة القدس .

أما القوات البريطانية التي كانت تتمركز في فلسطين عند اشتعال الثورة في ١٦/٤/١٩٣٦ فكانت كالتالي (٤) :

أولا : سلاح الجو الملكي (Royal Air Force)مركز قيادته العامة في القدس بقيادة فايس مارشال الجو بيرز (Peirse)القائد العام للقوات البريطانية في فلسطين وشرق الاردن. وقد قسمت مناطق عملياته الى أربع مناطق : الشمالية ،والوسطى ،والجنوبية ،والاردنية .وقد تألف سلاح الجو من سرب الطائرات القاذفة الغير كامل رقم "٦" بقيادة قائد الجناح رب مانسيل (Mansell)ومركزه قاعدة الرملة الجوية .كما وضع بأمرته سرية مدرعة ينقصها فصيل ،بالاضافة الى السرب الغير كامل رقم "٤" وفصيل بقيادة الكابتن د .هاريز (Harris)ومركزه عمان .

ثانيا : القوات البرية :

كان الكولنيل ايفيتس (Evetts)يقود القوات البرية البريطانية في فلسطين ومركزه القدس .وقد لوحظ عدم وجود أى ضابط برتبة جنرال طوال فترة الاضراب تقريبا وحتى تسلم

(2)H.Samuel.An Interim Report On The Civil Admimstration Of Palestine 30.7.1921,p.11.

(3)A Survey Of Palestine,p.123 And Peirse's Despatch.15.10.36. WO 32/4177.

(4)Peirse's Despatch.15.10.36.WO 32/4177.

الليفتانت جنرال جون ديل (J.Dill) في شهر أيلول (سبتمبر) ١٩٣٦. أما توزيع القوات البريطانية في البلاد فقد كان على الشكل التالي :

حيفا : كتيبة ينقصها فصيل بقيادة الليفتانت كولنيل رالستد (J.G.Ralsted).

نابلس : فصيل واحد .

القدس : كتيبة ينقصها سرية بقيادة اللفتانت كولنيل سيمنز (Simmons).

صرفند : سريـة واحدة .

القدس وحيفا : سرية الصيانة الملكية، رقم "١٤".

وقد بلغ عدد عناصر المشاة ٥٦ ضابط و ١٦٨٧ جندي. أما سرية الصيانة الملكية فقد تألفـت من ٤ ضباط و ١١٦ جندي .

قوات الحدود الاردنية (Trans-Jordan Frontier Force).

كان مركز قيادتها مدينة الزرقاء في الاردن وتألفت من سرية خيالة مركزها الزرقاء وسريتين أخرتين توزعتا بين جسر المجامع ، وروشبينا (الجاعونة شرق الجليل الاعلى) وسمخ ، وبيسان . كما اشتملت القوات على سرية ميكانيكية في الزرقاء وأخرى في معان . وبذلك يكون عدد عناصرها ٢٤ ضابطا بريطانيا ، و ٢٨ ضابطا محليا ، و ٩ ضباط صف بريطانيين، و ٨٣٥ جنديا محليا وبالاضافة الى هذا العدد كان يوجد ١٨٠ جندي عربي آخر يعملون كقوة احتياط يستعملون للتدريب لمدة أسبوعين سنويا (٥) ، وبذلك يصبح عدد القوات البريطانية العاملة في فلسطين وشـرق الاردن بالاضافة الى سربين من الطائرات وسرية مدرعة، وثلاثة آلاف شرطي : ١١٢ ضـابط و ٢٢٢٧ ضابط صف وجندي بما فيهم قوة الاحتياط وسرية الصيانة الملكية .

يبدو من خلال ما تقدم أن القوات البريطانية العاملة في البلاد كانت قليلة العـدد

(5) Peirse's Despatch, 15.10.36. WO 32/4177.

نسبيا، بالنظر الى المهمة الموكلة اليها في فلسطين بما يمثله موقعها من أهمية استراتيجية بالغة الخطورة. فهي بالنسبة لبريطانية لم تعد مجرد نقطة واقعة شرق السويس فقط. فقد اكتسبت اهمية اقتصادية بعد مرور أنبوب بترول الموصل - حيفا فيها عام ١٩٣٥ وربطها اجزاء الامبراطورية البريطانية من خلال مطاراتها والاهمية الاستراتيجية التي اكتسبتها ميناء حيفا بعد ازدياد الخطر الايطالي، بعد حرب الحبشة، واتصالها بالخليج بعد تشييد الخط البري الذي امتد من حيفا حتى بغداد. ويعود صغر حجم القوات البريطانية الى عوامل عديدة منها زيادة عدد أفراد البوليس، وسرعة وصول النجدات من القواعد العسكرية المتمركزة في المستعمرات المحيطة وانشغال الحكومة البريطانية بالوضع المتفجر في كل من الهند وأثيوبيا وأسبانيا بالمقارنة الى الوضع الهادئ نسبيا في فلسطين. كما أن نظرة على الاستراتيجية البريطانية في تلك الفترة تساعد كثيرا في تفسير الموضوع. فقد بنت بريطانية استراتيجيتها الدفاعية على الطائرات واعتمدت عليها في ضرب وتدمير أى تمرد داخلي، واحباط أى خطط معادية للسلطات البريطانية لما امتازت به الطائرات الحربية من فاعلية وسرعة حركة، ومرونة، وقوة تدمير بالاضافة الى العامل الارهابي الذى تتركه في النفوس وقد شجعها في ذلك نجاحها في ضرب ثورة ١٩٢٠ في العراق. كما اعتمدت على الطائرات اعتمادا اساسيا في تطبيق استراتيجيتها الدفاعية لقطع طرق مواصلات أى دولة غربية معادية، ومطاردة قواتها في المنطقة عند الضرورة وفي حال قيامها بأى هجوم او تدخل محتمل (٦). وهذا يفسر لنا السبب وراء تعيين قائد القوات الجوية في فلسطين وشرق الاردن قائدا عام للقوات البريطانية في المنطقة ذاتها. كما أن تركيز قواعد جوية بريطانية في كل من مالطة ومصر وقبرص وعمان وفلسطين ليست بعيدة عن سياسة تطويق المنطقة والدفاع عنها بواسطة الطائرات، كما لعب موقع فلسطين والظروف المحيطة دورا هاما في هذا الموضوع وخاصة الدور الذى قامت به كل من التنظيمات الصهيونية المسلحة كشريك مستتر لبريطانية في الداخل،

(6) M.Howard, The Mediteranean Strategy Of The Second World War, (London 1966)p.13.

والقوات الفرنسية المتمركزة على الحدود السورية ـ اللبنانية ـ الفلسطينية في الخارج بقيامها بمنع الثوار من عبور الحدود وعرقلة عملياتهم ، كما قامت قوات الحدود الاردنية بدور أكثر فعالية على الحدود الفلسطينية الاردنية وذلك بمهاجمة الثوار ومنع تسريب الاسلحة (٧) ، ومع ذلك استمرت الثورة حتى أواخر عام ١٩٣٩ ولم تتوقف الا حين قامت بريطانية باعادة احتلال فلسطين بعد تطبيق استراتيجية هجومية ، اعتمدت أساسا على حرب متحركة مؤثرة نفذتها قوات نظامية زادت على العشرين ألفا استدعتها بريطانية ومالطا ومصر والهند ، والتعاون الوثيق مع الهاجاناة الصهيونية ، والقوات الفرنسية في الشمال .

الاجراءات البريطانية ضد الثورة

لم تنجح الحكومة البريطانية بعد اسبوعين من بدأ الاضراب في ايقاف عمليات الثوار بواسطة القوات العسكرية المتوفرة ، على الرغم من فرض الاحكام العرفية ونظام منع التجول في كافة المدن والقرى ، وقمع المظاهرات ونفي الشباب العرب الى اماكن بعيدة عن اماكن اقامتهم ، وفرض العقوبات الجماعية واغلاق جمعيات الشباب (٨) . ولذلك قررت القيادة العسكرية في القدس طلب نجدات فورية من القيادة العامة في القاهرة يوم ٧ أيار (مايو) ١٩٣٦ . وقد وصلت التعزيزات فعلا بعد ثلاثة أيام فقط وهي عبارة عن كتيبة مشاة وسرية دبابات خفيفة ، كما وصلت سريتان مدرعتان من العراق بالاضافة الى نصف سرية ميكانكية من الاردن يوم ١٤/٥/١٩٣٦ . وقد تمركز قسم من القوات الجديدة في منطقة الصرفند لتشرف على نواحي يافا بدلا من كتيبة أخرى نقلت الى القدس ، كما تمركز قسم آخر في اريحا والرملة وحيفا (٩) .

وقد كتب الفايس مارشال بيرز بعد وصول تلك التعزيزات قائلا : "لقد أصبح هناك الحاح على طلب القوات العسكرية لتحل محل البوليس في مواكبة القوافل اليهودية بعد فشله في تأمين

(7) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

(٨) خلف ، المصدر السابق ، ص ٤٠٥ .

(9) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

وحماية المرور على الطرق "وقد بدأت عمليات المواكبة فعلا يوم ١٢/٥/١٩٣٦ بعد تلقي طلب رسمي قدمه مدير عام البوليس (١٠) . وبعد وصول تلك التعزيزات أبرق الفايس مارشال بيرز يوم ١٦/٥/١٩٣٦ الى القائد العام في القاهرة يطلب منه أرسال كتيبة أخرى في مدة اقصاها ثلاثة أيام (١١) .

ويلاحظ من خلال برقيات وطلبات الفايس مارشال بيرز والتي لا تخلو من العصبية والقلق بأن القوات البريطانية لم تعد تملك السيطرة على الوضع في البلاد أو احتوائه على الاقل . فالطرق والسكك الحديدية معرضة للتخريب في كل لحظة . كما تعددت عمليات قطع اسلاك الهاتف والتلغراف ، مما دفع القيادة العسكرية الى ارسال طلب فوري لالحاق وحدة اشارة من فيلق الاشارة الملكي للمساعدة في عمليات اصلاح الخطوط المعطلة (١٢) .

ولم تتوقف عمليات طلبات النجدة عند هذا الحد ، بل طالب الفايس مارشال بالحاح لتزويده بطائرات قاذفة ومقاتلة . وقد اجيب طلبه حيث صدرت الاوامر بالحاق ثلاث طائرات من قاعدة الاسماعيلية بقاعدة الرملة الجوية بين ٢٥ و ٢٩ أيار (مايو) ١٩٣٦ .

لقد أثر تصاعد الثورة تأثيرا كبيرا على رجال البوليس العرب مما دفعهم الى رفض الاوامر والامتناع عن القيام بأى مهمة وهذا دفع بدوره بالفايس مارشال بيرز بتاريخ ٢/٦/٣٦ الى ارسال طلب عاجل الى القيادة العامة لتزويده بثلاث كتائب مع قيادة لواء "للقضاء على التمرد الخطير" . وبوصول تلك التعزيزات يوم ٣/٦/١٩٣٦ أصبحت القوات البريطانية في فلسطين مشكلة من لوائين : اللواء الشمالي ومركزه مدينة حيفا بقيادة البريجادير بومان (Beauman) واللواء الجنوبي ومركز قيادته القدس ، ويقوده البريجادير سيمونز (F.K.Simmons) كما افرزت كتيبة مشاة للعمل بصورة مستقلة في منطقة صفد . وعلى أثر ذلك تم تشكيل هيئة أركان مشتركة

(10)Peirse's Despatch,15.10.36.WO 32/4177.

(11)Peirse's Despatch,15.10.36.WO 32/4177.

(12)Peirse's Despatch,15.10.36.WO 32/4177.

للا سلحة الثلا ث الجوية والبرية والبحرية بقيادة الفايس مارشال بيرز كما تم تعيين الكولنيـــل ايفتس (Evetts)رئيسا للأركان ،وفور تشكيل تلك القيادة تم البدء في اعادة تنظيم جهاز المخابرات الحربية بما يتناسب والتشكيل الجديد حيث تم توسيعه بانشاء فرعين جديديـــن في كل من نابلس ويافا بالاضافة الى فرعي حيفا والقدس القديمين. كما اعيد تنظيم القـــوات الجوية في قاعدة الرملة ايضا ،بحيث تمركز فيها السرب القاذف رقم "٦" ،كما افرزت طائـــرة قاذفة للعمل في منطقة جسر المجامع تابعة للسرب القاذف رقم "١٤" .وقد لعبت الطائرات لما لها من أثر مادى ومعنوى دورا كبيرا في ملاحقة الثوار وقصفهم أثناء العمليات بهـــدف تخفيف الضغط عن جنود المشاة .كما كانت تقوم الطائرات بالاضافة الى عمليات القصف باعمـــال الاستطلاع والتصوير ومواكبة القوافل وقطارات السكك الحديدية وتوزيع المناشير على القرى والمدن. وقد قامت بتوزيع مناشير على ٩٨٠ قرية اسقطت خلالها ٢١٠،٠٠٠ منشورا (١٣) .كما لعبـــت قطع الاسطول الثالث البريطاني المتمركزة في قاعدة حيفا دورا رئيسيا في الحد من عمليـــات تسلل الثوار العرب وعرقلة محاولات تهريب السلاح بحرا وذلك لقيامها بدوريات منتظمة على طول الشاطىء ،بالاضافة الى تقديم المساعدة لرجال الجمارك في حيفا في الكشف عن عمليات التهريب واحباطها . كما زودت البحرية البريطانية القوات البرية بمدافع الهاونز والتي تم تركيزها فـــي نابلس للرد على عمليات القنص الصادرة من التلال ضد معسكرات الجيش (١٤).

وعلى الرغم من هذه الاجراءات لم تستطيع القوات البريطانية ،استعادة الهدوء .وقـــد اعترف الفايس مارشال بيرز في تقريره المؤرخ ١٥/١٠/١٩٣٦ "بأن الموقف في فلسطين قد أصبح أكثر غليانا وتفجرا بحلول منتصف شهر ايار (مايو) ١٩٣٦ .وما زال القادة العرب على عنادهم ،كما أن المدن بدت أكثر ثباتا وعزما في تأييدها للاضراب ،حيث اتسعت عمليات نسف خطوط وطـــرق

(13)Peirse's Despatch.15.10.36,WO 32/4177.

(14)Peirse's Despatch,15.10.36,WO 32/4177.

المواصلات بشكل كبير ، وانتشرت العمليات العسكرية ضد معسكرات الجيش ومراكز البوليس ، ولم يمر يوم واحد دون حدوث مظاهرات ذات طابع عنيف في معظم المدن (١٥).

وقد كانت اكثر المدن تفجرا في تلك الفترة مدن نابلس والقدس ويافا ، لدرجة أن القائد العام للقوات البريطانية نفسه لم يجرؤ على زيارة نابلس على سبيل المثال الا بعد ارسال كتيبة مشاة اليها معززة بمدافع الهاوتزر الملحقة من الاسطول البريطاني في المتوسط . أما عمليات التخريب فقد كانت اكثر انتشارا في القدس . أما فيما يتعلق بيافا ، فقد نفذت أعلى نسبة من عمليات القنص وقذف القنابل ضد الجيش والبوليس ، كما تحدت السلطات تماما بحيث لم يستطع أحد من المسؤولين السياسيين أو القادة العسكريين من دخولها ، دون التعرض لمحاولة القتل والاغتيال (١٦).

وبذلك يمكن القول أن الاشهر الاولى من الثورة وخاصة خلال الفترة التي تولى القيادة فيها الفايس مارشال بيرز قد تميزت باتخاذ القوات البريطانية مواقع دفاعية تماما بالقرب من معسكراتها في ضواحي المدن التي ذكرناها والتركيز على مطاردة الثوار داخل المدن والقيام بعمليات نسف وتدمير كتلك التي حدثت في مدينة يافا .

خطة نسف بلدة يافا القديمة .

طالب الفايس مارشال بيرز في تقريره الى وزارة الطيران "بضرورة اعادة النظام والأمن الى مدينة يافا واعادة تشغيل مرفأها باستخدام عمال آخرين بدلا من العمال المضربين في حالة اصرارهم على مواصلة الاضراب" . وهذا لن يتم في نظره طالما بقيت الحالة الامنية في المدينة متدهورة وغير مستقرة . ولذلك قدم اقتراحا يتضمن القيام بنسف اجزاء من بلدة يافا القديمة لتحقيق هذا الغرض (١٧).

(15) Peirse's Despatch. 15.10.36, WO 32/4177.

(16) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

(17) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

ان هذا الادعاء يناقض تماما ادعاء السلطات البريطانية وقتها بأن الهدف من عملية النسف كان لتوسيع وتحسين المدينة القديمة ببناء طريقين يفيدان الحي القديم والمدينة في آن معا .

ففي صباح يوم ١٦ /حزيران (يونيو) ١٩٣٦ القت طائرة حربية كانت تحوم فوق المدينة الانذار التالي : ان الحكومة على وشك البدء في مشروع يرمي الى توسيع وتحسين البلدة القديمة في يافا ،وذلك ببناء طريقين يفيدان المدينة بكاملها .وستبدأ الخطوات الاولى الضرورية بهدم وازالة بعض الابنية المزدحمة وغير الصحية ،مستغلين فرصة وجود فرق المهندسين الملكية الان في فلسطين للبدء في هذه الاعمال (١٨) .

وكانت قد صدرت الاوامر للفتانت كولنيل اتيرسون- كيلسو (J.B.Utterson-Kelso) من قبل البريجادير سمينز قائد اللواء السادس عشر الجنوبي بأجراء الاستطلاعات اللازمة ووضع خطة مناسبة بالتعاون مع حاكم اللواء الجنوبي المستر كروسبي (R.E.H.Crosbie) ومساعده مفتش عام البوليس المستر فولي (G.R.E.Foley) وقد قدم في البداية اقتراحا يوصي فيه باستخدام قوات المشاة لاحتلال المدينة ،ومن ثم تنفيذ عملية النسف .ولكن الخسائر الكثيرة المتوقعه في صفوف القوات البريطانية،جعل تنفيذ هذه العمليات امر مستبعدا تماما . وفي النهاية قررت القيادة البريطانية تنفيذ الخطة التالية بعد تبنيها والتي قسمت الى اربعة مراحل :-

أولا : اطلاق نار كثيف ومستمر ضد مراكز الثوار حتى اسكات نيرانهم .

ثانيا : فرض عمل اجبارى على سكان المدينة لازالة المتاريس والحواجز .

ثالثا : نسف المناطق الشرقية والغربية من البلدة القديمة وشق طريق عبرها .

(١٨) السفرى ،المصدر السابق ،ص ٩٤ ،ايضا ،

John & Haduwi, op.cit., p .261.

رابعا : نسف المناطق الشمالية والجنوبية من المدينة القديمة وشق طريق اخرى وسطها • وقد بوشر العمل لتنفيذ المرحلة الاولى باطلاق نار كثيفة على اماكن القناصة العرب ومواقعهم من رشاشات الفيكرز (Vickers) ذات الكثافة النارية العالية ، والتأثير الفعال مقارنة بأسلحة الثوار البدائية •

وقد استمرت تلك الاشتباكات ١٨ يوما متواصلة أى اليوم الذى بوشر فيه العمل لتنفيذ المرحلة الثالثة في يوم ١٨/٦/١٩٣٦ • وقد أدى نجاح المرحلة الاولى الى تنفيذ المرحلة الثانية المتعلقة باجبار السكان العرب على القيام بعمل الزامي • وقد امرت القوات البريطانية الوجهاء واصحاب المحلات والسكان في المنطقة المعنية بعد تطويقهم بمباشرة العمل فورا وازالة كافة الحواجز والمتاريس في الشوارع واعادة النظام اليها (١٩) • استيقظ سكان البلدة القديمة صباح يوم ١٦/حزيران (يونيو) ١٩٣٦ على دق اجراس واصوات منادين ومنشورات تلقيها طائرة تتضمن قرار الحكومة بالاستفادة من وجود فرقة الهندسة الملكية في البلاد للبدء في عملية (تجميل المدينة) • كما هددت باستخدام القوة لتنفيذ الخطة في حالة حدوث أى مقاومة ووعدت بدفع تعويضات مناسبة لاصحاب البيوت المنسوفة أو المتضررة (٢٠) • بدأت اولى خطوات العملية عند الساعة الرابعة من صباح يوم ١٨ حزيران (يونيو) ١٩٣٦ بعد قيام احدى كتائب المشاة بتطويق المنطقة وتفتيش كل من يغادرها • كما قامت كتيبة أخرى بتأمين التغطية الضرورية لفرقة النسف ووضعت كذلك سريتين من المشاة وأخرى مدرعة في الاحتياط بالاضافة الى البارجة الحربية (Active) التي حدد واجبها بتأمين المنطقة المشرفة على البحر •

أشرف على عملية النسف الميجر بيروت (R.D.E.Perrot) بحضور كل من حاكم اللواء الجنوبي المستر ر • هـ • كروسبي قائد موقع يافا الليفتانت كولنيل اترسون كيلو

(19) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

(٢٠) السفرى ، المصدر السابق ، ص ٩٤ • ايضا ،

John & Hadawi, op.cit., p. 26.

والمهجـــــــر فولـــي ومدير البوليس وبعض وجهاء المدينة.

وقد شقت بحلول المساء طريق بعرض عشرة أمتار تمتد من مركز بوليس العجـــــي شرقا حتى دير اللاتين غربا (٢١). وقد أدى نجاح المرحلة الثالثة من العملية الى البـــدء في تنفيذ المرحلة الرابعة بعد فترة قصيرة نسبيا من بدء المرحلة الثالثة. وقد صرح الفايـــس مارشال بيرز بأن سبب السرعة في تنفيذ المرحلة الاخيرة من العملية كان من أجل عدم تـــرك أى مجال للمحكمة العليا بالفصل في عملية النسف بعد قيام العرب برفع شكوى بهـــــذا الخصوص. كما أن هناك سبب آخر وهو فشل محاولات تشغيل الميناء بعد رفض العمـــال اليهود، المواظبة على العمل، بدل العمال العرب المضربين.

استؤنفت أعمال النسف، لانجاز المرحلة الرابعة يوم ١٩٣٦/٦/٢٩ وتم الانتهاء منهـا يوم ٣٠ منه وذلك بعد تدمير بعض المناطق الواقعة شمال وجنوب المدينة.

يتضح مما تقدم مدى التناقض في أهداف ونوايا السلطات البريطانية فيما يتعلـــق بنسف البلدة القديمة كما يظهر مدى استخفافها وتحديها لمشاعر العرب. وقد برز هـــذا واضحا في اعلانهم عن سبب واه وغير مقنع بنسف المدينة القديمة مرتين خلال شهر واحـــد، الاولى يوم الخميس ١٩٣٩/٦/١٨ والثانية يومي الاثنين والثلاثاء الموافقين ٢٩، ٣٠ حزيران (يونيو) من نفس العام. حيث نسف في المرة الاولى ٧٠ بيتا، يسكنها نحو ١٥٠ عائلـــة وفي المرة الثانية نحو ١٥٠ بيتا يسكنها نحو ٣٠٠ عائلة. كما تم ازالة حوالي ٨٥٠ براكيـــة خشبية يسكنها حوالي ٤٠٠٠ شخص في مناطق أخرى من المدينة. هذا بالاضافة الى هـــدم وتشقق عدد كبير آخر من البيوت المجاورة. ويقدر عدد الذين أصبحوا بلا مأوى بعـــــد أن فقدوا كل شيء حوالي عشرة آلاف نسمة (٢٢). وقد تجاوز الضرر البلدة القديمة وأصاب كنيسة الخضر الموجودة في حي العجمي التي تشققت بتأثير النسف بالديناميت. كما أصيب مسجـــد

---

(21) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

(٢٢) السفرى، المصدر السابق، ص٩٧. ايضا:

John & Hadawi, op.cit., pp.261-262.

الشيخ رسلان ودمر جزء من مئذنته وتناثرت الحجارة على الكنيسة (كنيسة دير الـــروم) مما سبب خرابا كبيرا في سطحها اضافة الى اتلاف بعض المصابيح المعلقة بها . امـــا كنيسة دير اللاتين المعروفة بالقلعة فقد أثر فيها الديناميت تأثيرا كبيرا وأتلف محتوياتها وشوه منظرها الخارجي (٢٣) . أما فيما يتعلق بالتعويض المناسب الذى وعدت بريطانيا بتقديمة للمتضررين فلم يزد على عشرين مليما لمدة اسبوع عن كل فرد من أفراد العائلـة دون القيام بعمل يذكر في سبيل إيواء هؤلاء المشردين مكتفية بإيواء بعضهم في بعـــض المدارس (٢٤).

لقد بدا واضحا للسلطة البريطانية أن عملية النسف لم تحقق الهدف الاستراتيجي الذى نفذت العملية من اجل تحقيقه وهو ترويع الثوار والسكان ووقف الاضراب ، وان كانت قد حققت هدوءا نسبيا في المدينة وبعض المدن الاخرى . فبعد أقل من شهر على العمليـة وتحديدا في ١٩٣٦/٧/٢٧ الذى صادف مرور مائة يوم على بدء الاضراب نفذت عمليـات كثيرة غطت معظم أنحاء البلاد . وقد كتب الغايس مارشال بيرز على اثرها لقيادته " ان القوات التي تعمل تحت قيادتي لم تعد قادرة على سحق التمرد بالسرعة المطلوبة ولذلك أطلـب ارسال كتيبتي مشاة محمولتين على الاقل ليصبح كل لواء مشكل من أربعة كتائب بالاضافة الـى كتيبتي احتياط وفوج خيالة مفرزان للمهمات المحدودة وخاصة في مناطق الاردن وبئـر السبع " . ويضيف الغايس مارشال بيرز قائلا : " لقد بات من الضروري وحتى يعود الهـدوء بسرعة الى البلاد وضع فرقة كاملة مؤلفة من ثلاثة ألوية بما فيها القوات الموجودة أصلا فـي البلاد والتي يبلغ عددها ١٠٣٨٩ ضابط وجندى بما فيها القوات الجوية (R.A.F.) تحت تصرف القائد العام . اضافة الى السرب ٣٣ القاذف المتمركز أصلا في قاعدة الاسماعيليه بهدف تكثيف عمليات القصف (٢٥).

---

(٢٣) السفرى، المصدر السابق، ص ٩٧ . ايضا ، خلـه ، المصدر السابق، ص ٤٠٧ .

(٢٤) خلـه ، المصدر السابق ، ص ٤٠٨ .

(25) Peirse's Despatch, 15.10.36, WO32/4177.

وبعد وصول تلك التعزيزات أصبح عدد أفراد الجيش البريطاني بنهاية فترة قيادة الفايس مارشال بيرز ، فرقتين كاملتين الفرقة الاولى والخامسة بلغ تعداد أفرادهما حوالي ١٥ ألف جندى منتشرين من رفح في أقصى الجنوب حتى صفد في الشمال ، يضاف اليهم رجال البوليس الفلسطيني وهم خليط من العرب والانجليز واليهود ، وقد قدر عددهم بستة آلاف رجل ، وقوة الحدود الاردنية وقدر عددها بأربعة آلاف بين ضابط وجندى ورجل بوليس (٢٦).

وعلى اثر فشل استراتيجية الفايس مارشال بيرز التي اعتمدت أساسا على سلاح الطيران وعلى الاعداد الضخمة من جنود المشاة ، قررت الحكومة البريطانية استبداله بالجنرال جون ديل الذى ينتمي الى سلاح المشاة ، كما قررت اتخاذ اجراءات أكثر صرامة، في التعامل مع الثوار ، وتقرر ارسال فرقة مشاة اضافية كاملة للعمل الى جانب القوات الاخرى في تنفيذ تلك الاجراءات .

وصل الجنرال جون ديل يوم ١٩٣٦/٩/١٣ الى حيفا ثم غادرها بالطائرة الى القدس ومن ثم تسلم القيادة يوم ١٩٣٦/٩/١٥ . وقد جعل همه الأول اعادة تنظيم القوات المسلحة التي أصبحت بعد وصول التعزيزات من كل من بريطانيا ومالطا ومصر والهند كالآتي : (٢٧)

- الفرقة الاولى : بقيادة الميجر جنرال ارميتاج (C.C.Armitage) منطقتها الانحاء الجنوبية من فلسطين ، مركزها القدس ، وتتكون من الألوية التالية :

أ - لواء المشاة الاول بقيادة البريجادير ثورن (A.F.A.N.Thorne) وميدان عملياته منطقة القدس .

---

(٢٦) السفرى، المصدر السابق، ص ١١٧ . ايضا ،

John and Hadawi, op.cit, p.265.

(27) Dill's Despatch, 30.10.36, WO 32/4178. Also,
A Stafflist Of The Government Of Palestine, 1935-39, Jerusalem 1939. Also,
Peirse's Despatch, 15.10.36, WO 32/4177.

ب ـ لواء المشاة الثاني بقيادة البريجادير كار (L.Carr) وميدان عملياته منطقة يافا .

جـ ـ لواء المشاة الثالث بقيادة البريجادير ماكسي (J.Mackesy)وميدان عملياته منطقة القدس .

ـ الفرقة الخامسة : بقيادة الميجر جنرال هوارد (G.W.Howard) وميدان عملياتها الانحاء الشمالية ومركزها حيفا ، وتتكون من الألوية التالية :

أ ـ لواء المشاة الثالث عشر مع قوة حدود شرق الاردن بقيادة البريجادير بريستمان (I.H.I.Priestman)وميدان عملياته منطقة الناصرة .

ب ـ لواء المشاة الخامس عشر بقيادة البريجادير بومان (A.B.Beuman) وميدان عملياته منطقة حيفا .

جـ ـ لواء المشاة السادس عشر بقيادة البريجادير ايفتس (J.F.Evetts) وميدان عملياته منطقة نابلس .

كما تمركزت في حيفا كتيبة الهوسار (Hussars)الحادية عشرة وقوات السكك الحديدية بقيادة اللفتانت كولنيل اثرسون (Atherson) وثلاثة كتائب أخرى .

وقد كانت القدس مركز قيادة سلاح الطيران الملكي (Royal Air Force) في فلسطين وشرق الاردن بقيادة كومودور الطيران هيل (R.M.Hill) كما كانت عمان مركز القوات البريطانية المتمركزة في شرق الاردن بقيادة الكابتن هاريس (Harris) .

أما القوات الجوية فقد تشكلت من الاسراب الغير كاملة الآتية :

ـ السرب السادس القاذف ٣ طائرات ، قاعدته الرملة وميدان عملياته المنطقة الوسطى .

ـ السرب السادس القاذف ١ طائرة ،قاعدته سمخ وميدان عملياته المنطقة الشمالية .

ـ السرب ٣٣ قاذف ٣ طائرات ،قاعدته غزة وميدان عملياته المنطقة الجنوبية .

ـ السرب ١٤ قاذف ١ طائرة ، قاعدته جسر المجامع وميدان عملياته منطقة الاردن .

اعتقد القائد العام للقوات البريطانيه بعد أن أصبح تحت تصرفه هذا الحجم الكبير من القوات بأن فرض الأحكام العرفية هو بمثابة اكثر الوسائل نجاعة لتوطيد النظام والأمن لما توفره تلك الأحكام في نظره — من سيطرة عسكرية تامة في معظم الميادين • ولكن تطبيق تلك الاحكام قد تأجل بعد اعلانها يوم ١٩٣٦/٩/٢٩، على اثر قيام اللجنة العربية العليا باصدار بيان بعد تدخل الملوك والأمراء العرب يوم ١٩٣٦/١٠/١٠ ، طلبت فيه وقف الاضراب ابتداء من ١٩٣٦/١٠/١٢ • وقد اعتبر الجنرال ديل ، في أمر يومي ، وزع على القوات البريطانية ، أن بيان وقف الاضراب الغير مشروط جاء نتيجة للعمل الفعال والحاسم الذى قامت به أسلحة الجيش الثلاث في البلاد • وعندما وزع الامر على الصحف رفضت نشره بناء على أمر صدر عن المندوب السامي (٢٨)، مما خلق تناقضا واضحا بين الادارة المدنية والقيادة العسكرية في النظرة الى الموقف السياسي والعسكرى ككل • ويمكن فهم هدف السير ارثر واكهوب المندوب السامي من وراء قرار منع النشر بعدم رغبته في استفزاز قادة الثورة والقادة العرب • وفي اعتقادى أن الجنرال ديل قد أخطأ في تصوره بأن قواته هي التي أوقفت الاضراب والثورة فمن المعروف أن الثورة في أواخر ١٩٣٦ لم تهزم ولم تستسلم ولم تلق سلاحها (٢٩)، كما اعترف هو نفسه بعد ذلك واصفا الحالة بعد وقف الاضراب بأنها عبارة عن " هدنة مسلحة " لا أكثر ولا أقل • كما اعترف ايضا بأن السبب الحقيقي وراء السرعة والفاعلية التي اتسم بها وقف الاضراب يعود الى التنظيم الدقيق للثوار • واستطرد قائلا أنه " لم يشعر يوما بأن هناك شيئا اسمه اضراب وآخر اسمه ثورة في فلسطين، بل كان هناك ثورة فقط مسيطر عليها تماما " (٣٠).

ولم يكن الجنرال جون ديل أوفر حظا من سلفه الفايس مارشال بيرز في تبنيه استراتيجية اعتمدت اعتمادا أساسيا على قوات برية متفوقة تماما على قوة الثوار، وعملت

---

(28) Dill's Despatch, 30.10.36, WO 32/4178.

(29) Marlowe , op.cit., p.171.

(30) Dill's Despatch, 30.10.36, Wo 32/4178.

بتنسيق كامل مع القوات الجوية. فقد ازدادت الثورة عنفا وضراوة في أواخر صيف ١٩٣٧، مما أدى الى دفع وزارة الحرب البريطانية الى تعيين قائد آخر مكانه هو الجنرال ويفل (Wavell) الذى تسلم القيادة منه يوم ١٩٣٧/٩/١٢. أما القوات العسكرية التي كانت تتمركز وقتها في البلاد فهي عبارة عن لوائين من المشاة بعد انسحاب معظم القوات الى معسكراتها وقواعدها السابقة وتبديل بعضها بعد وقف الاضراب، وأما اللواءان هما اللواء السادس عشر مشاة بقيادة البريجادير ايفتس ومنطقة عملياته الانحاء الشمالية من فلسطين، واللواء الرابع عشر مشاة بقيادة البريجادير هاريسون (H.C.Harrison) ومنطقة عملياته الانحاء الجنوبية منها (٣١). وقد عمل الجنرال ويفل منذ البداية على انشاء قوة متحركة ميدانها الرئيسي التلال التي يتمركز فيها الثوار وذلك بهدف استرداد زمام المبادرة. ولتحقيق هذه الغاية أمر بانشاء تشكيلات جديدة قوامها فصائل متحركة، يتم فرزها من اللوائين الرابع عشر والسادس عشر مشاة والتي بلغ عددها ١١ فصيلا، وصل عدد أفراد كل واحد منها الى ١٠٠ جندى. وقد تمركز سبعة منها في المنطقة الشمالية وأربعة في المنطقة الجنوبية. كما زود كل جندى بتموين يكفي لمدة ٤٨ ساعة، وألحق بكل طابور سيارة وبغل أو حمار ومفرزة هاون. وكانت منطقة صفد الميدان الرئيسي لنشاط تلك الفصائل حيث عمل فيها تسعة فصائل دفعة واحدة بعد الحاق اثنين من فصائل المنطقة الجنوبية (٣٢) كما شق العديد من الطرق عبر المناطق الجبلية لتسهيل تحرك تلك الفصائل بهدف تطويق ومطاردة الثوار (٣٣). وقد بلغ عدد الاشتباكات التي خاضتها هذه الفصائل مع الثوار العرب ١١٣ اشتباكا خلال ستة شهور فقط. كما ساهمت الى جانب القوات الاخرى في احتلال حوالي ٨٠ قرية. وقد أثمرت عمليات تلك الفصائل

---

(31) Wavell's Despatch, 7.4.38, CO 733/379/75528/74/38.

(32) Wavell's Despatch, 7.4.38, CO 733/379/75528/74/38.

(33) Marlowe , op.cit, p.190.

تأثيرا كبيرا على الثوار ، حيث اضطرتهم الى توزيع قواتهم في مجموعات صغيرة لا تزيد عن عشرة أفراد بناء على أوامر قيادتهم في الشام لتجنب المواجهة مع العدو ولتخفيف الخسائر . كما تسببت في استشهاد العديد من القادة خلال تلك الفترة ، وزادت من ضغطها على الثوار ، مما أجبرهم على القتال في ظروف معقدة ، ولكن بتصميم أكبر على الاستمرار بالثورة وعدم الاستسلام (٣٤) . وبذلك يكون ويڤل قد نجح حيث فشل من سبقوه ، وذلك بوضعه أسس استراتيجية هجومية أثبتت فعاليتها عندما طبقها وطورها خليفته الجنرال روبرت هاينج والتي تركزت على احتلال عدد من القرى أولا بعد تطويقها ، والقيام بقطع الامداد عن الثوار من خلالها ، ثم تطويقهم ومهاجمتهم بعد ذلك ، وبعد قيامه بتفتيت الجبهة الداخلية .

ولم تكن القوات البريطانية العسكرية هي الوسيلة الوحيدة التي استخدمتها السلطات البريطانية لقمع الثورة في فلسطين بل لجأت الى وسائل واجراءات قمعية أخرى في محاولة منها لارهاب الثوار وتحطيم معنوياتهم وبالتالي اخماد الثورة . ومن تلك الاجراءات تعديل قوانين الطوارئ بحيث أصبحت حيازة بضع رصاصات أو قطعة سلاح مهما كان نوعه تكفي للحكم بالاعدام ، كما أصبحت كل بيارة أو أي عمارة في مدينة أو قرية عرضة للنسف أو المصادرة لمجرد صدور نار من جهتها حتى بلغ عدد الذين شنقوا مئة وست وأربعين وتجاوز عدد المحكومين بعدد أبدية الألفين ، وبلغ عدد المنازل والحوانيت التي نسفت أو تصدعت نحو خمسة آلاف

---

(٣٤) منهم محمد صالح قائد الثورة في نابلس الذي استشهد يوم ١٨/٩/٣٨ في معركة بيت فوريك والشيخ طه الشيخ محمد الذي استشهد في معركة عصيره الشمالية يوم ٢٨/٩/٣٨ والشيخ عبد الفتاح السيلاوي قائد منطقة نابلس الذي استشهد يوم ١٥/١١/٣٨ في بيت فوريك والشاعر نوح ابراهيم الذي استشهد في أحد معارك شمال فلسطين يوم ٣١/١٠/٣٨ .
(انظر ، زعيتر ، الحركة الوطنية ، ص ٤٥٣ ، ٥٠٠ . ايضا ،
Tegart Papers, Box II , File 4 DS , 126-2. Also,
Wavell's Despatch, 7.4.38, CO 733/379/75528/74/38.

والتي أبرزها عمليات نسف واسعة في يافا القديمة كما ذكرنا سابقا . كما لجأت السلطات الى فرض الضرائب والقيام بحملة اعتقالات واسعة لكل من اشتبهت بانتمائهم للثورة من أهل المدن والقرى. وقد أنشأت أربعة عشر معتقلا لهذه الغاية بلغ عدد من اعتقل فيها مددا قصيرة أو طويلة نحو خمسين ألفا (٣٥).

وقد كتب الجنرال هايننج في تقريره يوم ١٩٣٨/٨/٢٤ بأن الهدف الاساسي وراء عمليات التفتيش والاحتلال هو " محاولة منع الاهالي من ردف الثوار بالمقاتلين ، ومن تقديم الامداد والمأوى لهم ، والعمل على كسب ثقة الاهالي الذين لا يعادون الحكومة ، وفتح المسالك والطرق أمام الفصائل المتحركة في المناطق الداخلية الوعرة " (٣٦).

كان الجنرال هايننج قد تسلم القيادة من الجنرال ويفل يوم ١٩٣٨/٩/٤ في وقت وصلت فيه حدة الاشتباكات والمجابهات العسكرية بين الثوار والقوات البريطانية الى درجة خطيرة من العنف والتحدي . وقد تميزت قيادته التي استمرت الى مابعد وقف الثورة بعملية اعادة احتلال فلسطين (٣٧). ففي تلك الفترة بدأت المغارز الليلية الخاصة (S.N.S.) في العمل على مطاردة الثوار في الشمال الى جانب الفصائل المتحركة ، كما تم انشاء السور الحديدي على طول الحدود الشمالية باشراف السير تشارلز تيجرت (Charles Tegart)، وبدأت في فترة قيادته عمليات احتلال القرى اعتبارا من يوم ١٩٣٨/٥/٢٠ حيث تم احتلال ٢٠ قرية من منطقة نابلس والشمال خلال شهرين فقط والتي وصلت الى ٧٥٨ في عام ١٩٣٩ . كما أنشأ مركز بوليس في كل قرية منها يحتله

---

(٣٥) دروزة ، المصدر السابق، ص ٢٢ . ايضا ، وديع أمين، "القدمات التاريخية لثورة ٣٦"، الطليعة ، (١٩٧١)، العدد السابع .

(36) Haining's Report, 24.8.38, CO 733/379/75528/74/38.

(37) Great Britain And Palestine 1915-1945, Information Papers, No 20. (New York 1946), p.116.

أربعون فردا بقيادة ضابط بريطاني .

لقد بدا واضحا للسلطات البريطانية بأن استعادة المبادرة من أيدى الثوار والقضاء عليهم بعد ذلك يتطلب تنفيذ تكتيك جديد بعد ثبات فشل كافة الأساليب التقليدية في تحقيق تلك الأهداف ، وذلك بعد أن وصلت الثورة بحلول تشرين الأول عام ١٩٣٨ الى درجة من القوة والانتشار بحيث أصبحت سلطة الدولة معدومة تماما في المدن ، كما أصبح شمال فلسطين يتمتع باستقلال تام تحت حكم الثوار (٣٨) . وقد لاحظنا وصول أعداد ضخمة من القوات العسكرية الى البلاد ، كما تم اعادة تنظيم البوليس بحيث أصبح تحت قيادة واشراف العسكريين مباشرة من أجل اعادة السيطرة المفقودة على البلاد . ويذكر توم بـاودن (Tom Bowden) بأن النشاط العسكرى البريطاني الناجح المضاد للثورة قد بدأ من الناحية الفعلية مع تشكيل مفارز ليلية خاصة ، غير تقليدية ، بإمرة ضابط غير تقليدى ، وذلك في شهر أيار (مايو) ١٩٣٨ لتكون بمثابة القوات الضاربة للجيش البريطاني في فلسطين (٣٩). وقد حدد واجب تلك المفارز بحماية خط شركة النفط العراقية (I.P.C.) والذى ينقل البترول من العراق الى حيفا ، وخطوط السكك الحديدية . وقد كان لهجمات الثوار المستمرة على خط الـ (I.P.C.) أثره في قرار القيادة العسكرية البريطانية في فلسطين وشرق الاردن بانشاء قوة عسكرية خاصة سمتها المفارز الليلية الخاصة (S.N.S.) للعمل ليلا لحماية الخط المذكور من عمليات التفجير اضافة الى مطاردة الثوار . أى العمل بطريقة دفاعية ايجابية ليلية (٤٠) وتحقيق أحد أهداف الجنرال هاينج الرئيسية بأن تتمتع تلك المفارز بالسلطة العليا والسيطرة التامة على منطقة عملياتها في الليل والنهار (٤١) . وقد عهد الى الكابتن أورد وينجيت المنتمي لسلاح المدفعية البريطاني والمعروف

---

(38) Bowden , op.cit, p.244.

(39) Bowden , op.cit, p.245.

(40) Haining's Report, 24.8.1838, CO 733/379/75528/74/38.

(41) Bowden , op.cit, p.246.

بتعاطفه مع الصهيونية بتدريب وقيادة هذه المغارز التي تكونت أساسا من الشرطة اليهودية الاضافية وعناصر من القوات البريطانية (٤٢). ويدل انشاء تلك المغارز على مدى التحام الاهداف البريطانية والصهيونية في تلك المرحلة.

هذا وقد استغل اليهود انخراطهم في تلك المجموعات أقصى درجات الاستغلال حيث اكتسبوا خبرة واسعة في حرب العصابات ، ومقاومتها ، كما تعلموا كيفية شن الهجوم الليلي الصاعق ، وتحقيق المفاجأة أثناء خوض العمليات ، وسرعة الحركة والانتشار السريع ، التي نقلوها بدورهم الى معسكرات تدريبهم الخاصة حيث تطورت وأصبحت المبدأ الاساسي لجيش الدفاع الاسرائيلي الحالي (٤٣).

أسس الكابتن وينجيت قيادته في مستوطنة " عين حارود " في أيار (مايو) ١٩٣٨، على منتصف الطريق بين العفولة وبيسان ، وعلى مقربة من نهر حارود شمالا وعلى مسافة كيلومترين من خط الـ (I.P.C.) والتي شكلت حمايته هدفها الاساسي. وقد بلغت مراكز المغارز الليلية الخاصة (S.N.S.) أربعة مراكز بما فيها مركز القيادة والتي تم تشكيلها من فصيلين. وقد ركز الثاني في جيفا (Geva) على بعد ميلين الى الغرب من مركز القيادة ، وآخر على مقربة من بحيرة الحولة ، كما ركز رابعاً في تل أمل على بعد عشرة كيلومترات جنوب غرب القيادة. وقد سارعت منظمة الهاجاناه بغرز حوالي ٨٠ رجلا للعمل في صفوف تلك المغارز ، كما جند الكثيرون من البوليس اليهودي الاضافي بحيث وصل عدد دورياته الى ٩ دوريات (٤٤). وقد بلغ عدد المتطوعين اليهود في تلك المجموعات حوالي ٢٤٠ شرطيا اضافيا أصبحوا فيما بعد نواة لقوة الهاجاناه العسكرية التي بلغت في عام ١٩٣٩ ١٤٥٠٠ رجل (٤٥).

---

(42) Sykes, op.cit., pp.143- 149.

(43) Hirst, op.cit., p.104.

(44) Sykes, op.cit., p.149.

(45) Hirst, op.cit., p.104.

كما اعتمد وينجيت في جمع معلوماته عن الثوار على جهاز غاية في الدقة والتنظيم ، قوامه الاساسي من المجندين اليهود وبرئاسة عضو الهاجاناه حايم ستيرمان (Haim Sturmann)،وقد كان وينجيت يستجوب المجندين ودوريات الاستطلاع بنفسه قبل القيام بأى هجوم (٤٦).

بدأت أولى عمليات تلك المغارز يوم ٣ حزيران (يونيو) عام ١٩٣٨ عندما قام وينجيت على رأس سبعة عناصر بمهاجمة مجموعة من الثوار العرب وجرح اثنين منهم (٤٧) . ولكن المعركة الرئيسية الاولى حدثت مساء يوم ١١ حزيران (يونيو) ١٩٣٨، عندما قامت دوريتان مختلطتان من اليهود والبريطانيين بالتحرك شمالا الى خط ال (I.P.C.)والاشتباك مع مجموعة من الثوار قاموا بنسف الخط لحظة وصول الدوريات الى المكان. وقد نجحت في قتل اثنين من الثوار ، وجرح ثلاثة وأسر ستة آخرين مع أسلحتهم (٤٨). أما تسليح المغارز الليلية الخاصة فكان عبارة عن البنادق والقنابل اليدوية . كما زود كل عنصر ببطارية (Torch) لاستخدامها في اعطاء اشارات محددة يتم التدرب عليها ، أما الملابس فقد كانت عبارة عن قميص أزرق كالذى يستخدمه البوليس ، وبنطلون من الكتان وحذاء مطاطي خفيف ، وطاقية بحواف عريضة كتلك التي يستخدمها الجيش الاسترالي (٤٩).

وفي الرابع من تشرين أول (اكتوبر) ١٩٣٨ حدث آخر اشتباك بين المغارز والثوار تحت قيادة وينجيت على أثر هجوم الثوار على طبريا . فقد حاول تطويق المجموعة التي نفذت العملية معتقدا بأن آمرها القائد يوسف أبو درة ، ولكن المجموعة نجحت في الافلات من الطوق بالرغم من تدخل الطائرات ، كما ذكرنا سابقا . وبذلك سجل نهاية فاشلة لعمليات لعبت في الواقع دورا كبيرا في الضغط على الثوار ومحاولة كسب المبادرة منهم طوال أشهر خمسة كاملة .

(46) Bowden , op.cit.,pp.245-246.

(47) Sykes , op.cit.,p.149.

(48) Sykes , op.cit.,p.151.

(49) Sykes , op.cit.,p.150.

ولم يكن نجاح تلك المفارز النسبي يعود فقط الى ممارساتها ونشاطها الحربي في المنطقة الشمالية ، فقد لجأت السلطات الى بناء سور حديدي في المنطقة الشمالية في الفترة نفسها تقريبا التي بدأت تلك المفارز عملياتها ضد الثوار ، مما ساعد في بعثرة قواتهم وتجزئتها بسبب اضطرارها لتكريس قسم منها لمهاجمة السور مما جعل القوات البريطانية والصهيونية تتصرف بحرية كبيرة .

وقد بدأت فكرة بناء هذا السور بعد تزايد عمليات الثوار وتطورها حسب تعبير الجنرال هاينغ الى مايشبه الحرب المحدودة وعدم تمكن قواته من ايقافها (٥٠). وهذا ماجعل القيادة العسكرية تفكر في اعداد خطة جديدة لمواجهة هذه المشاكل تم على اثرها تكليف السير شارلز تيجرت (Tegart) الخبير في مقاومة حرب العصابات بدراسة الموقف في المنطقة ووضع توصياته واقتراحاته . وقد توصل بعد الدراسة والتشاور مع السلطات الفرنسية في كل من سوريا ولبنان الى فكرة سد حدود لبنان وسوريا وشرق الاردن بسور من الأسلاك الشائكة تحميه سلسلة من القلاع الحربية يتم انشاؤها على امتداده. ووافقت القيادة البريطانية على اقتراحه لانشاء هذا الشريط بطول ٣٣ كيلومترا في البداية . ثم امتد بطول ٨٠ كيلومتر على حدود سوريا - لبنان وذلك بهدف الحد من عمليات الثوار عبر الحدود والتي بلغ معدلها ستة عمليات أسبوعيا وتهريب الاسلحة والعتاد والمال الى داخل البلاد (٥١).

وقد بدأ العمل في انشاء السور في مستهل عام ١٩٣٨ بعرض ٦ أمتار وارتفاع ٣ أمتار على طول الحدود الشمالية والشمالية الشرقية من بحيرة طبريا وحتى روشبينا . وتم انجازه في أيار (مايو) ١٩٣٨ أى مع وصول الجنرال هاينغ القائد العام للبلاد

---

(50) Haining's Report, 24.8.38, CO 733/379/75528/74/38.

(٥١) دروزة ، المصدر السابق ، ص ٢١٠. Also,

Tegart Diary, DS, 126-2.

تقريبا وقد بلغت تكاليفه حوالي ١٠٠،٠٠٠ جنيه استرليني (٥٢). ومما يذكر أن مكتب المقاولات التابع للهستدروت هو الذي تولى بناء هذا الخط (٥٣). وقد تم انجاز الجدار على الرغم من سلسلة عمليات عديدة قام بها الثوار بهدف عرقلة العمل فيه ، وذلك لما له من أثر سلبي على تزويد الثوار بالعتاد والسلاح والتموين عبر الحدود وإحكام الطوق عليهم ، وبالتالي عزل الثورة. وقد تكثفت هجمات الثوار ضد السور كما ازدادت عنفا ضده بعد اتمامه . وقد بذلت محاولات عدة لتفكيكه وتدميره على طول الحدود الشمالية. وقد بلغت تلك المحاولات ذروتها عندما نجح الثوار ليلة ٢٨ - ٢٩ حزيران (يونيو) ١٩٣٨ بتدمير ستة كيلومترات منه تدميرا كاملا بواسطة المتفجرات (٥٤) في منطقة واحدة ، وثلاث عشر كيلومترا في مناطق أخرى بواسطة الجمال والبغال التي جعلوا منها قطارا ، ثم ربطوا أطراف السد ببعض الكاشات القوية ، وساقوا الدواب بعد ذلك التي ركضت مقتلعة الأوتاد والأسلاك معا (٥٥).

كما كان للسور أثره السلبي من وجهة النظر الاردنية لما سببه من تحول طرق الثوار عبر الحدود الشمالية الى الجنوبية ، كما خلق حالة من عدم الاستقرار والمتاعب في البلاد . ولذلك قامت الحكومة بانشاء عدة أسوار حول وداخل كافة المخاضات (Fords) ذات المياه الضحلة باستثناء تلك الواقعة تحت المراقبة المستمرة. كما تم تركيز سرية مدرعة تابعة لقوة الحدود الاردنية (T.J.F.F.) في منطقة الجفتلك للغاية نفسها (٥٦).

(52) Bethell, op.cit, p.37. Also,
Haining's Report, 24.8.38, CO 733/379/75528/74/38. Also,
Great Britain And Palestine, Information Papers, p.116.

(٥٣) خلف ، المصدر السابق ، ص ٤٥٥.

(54) Haining's Report, 24.8.38.CO 733/379/75528/74/38.

(٥٥) دروزة ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

56) Tegart Papers, DS 126-2, Box II, File IV, And
Haining Report, 24.8.38, CO 733/379/75528/74/38.

ولكن محاولات الانجليز لم تنجح تماما في منع الثوار من عبور الحدود الشمالية والجنوبية ، حيث ركز الثوار هجماتهم ضد السور، وفتحوا ثغرات كثيرة فيه . وعندما اكتشف الثوار أن البريطانيين بدأوا تثبيت مصائد الغام على طول السور بدأوا في البحث عنها ونزع كبسولاتها ومن ثم استخدام متفجراتها في عملياتهم ، مما جعل السلطات البريطانية تسارع الى ازالة مابقي منها لأنها كانت وسيلة سهلة لتموين الثوار بالمواد المتفجرة (٥٧). كما قامت الحكومة بتركيز كتيبة مشاة كاملة في منطقة السور بهدف حمايته (٥٨). وبالرغم من ذلك، لم يحقق السور الا القليل من الناحية الأمنية لأن الحدود الجنوبية بقيت مفتوحة تقريبا (٥٩). كما أن محاولة قد جرت لقتل تشارلز تيجرت نفسه حين نصب له الثوار كمينا عند الكيلو ٣٢ على الطريق بين نابلس والقدس يوم ١٩٣٨/١٢/٣١ حيث قتل أحد مرافقيه (٦٠).

ولم تكتف السلطات البريطانية بتلك الاجراءات العسكرية بل لجأت الى استغلال المصالح العائلية والعمل على زرع ماأصطلح على تسميته حديثا " بفتنة الصراع" فقامت بالتعاون مع الوكالة اليهودية بتشكيل " فصائل السلام " (Peace Bands) من بعض معارضي الحركة الوطنية لقاء مبالغ كبيرة بزعامة كل من فخري النشاشيبي وفخري عبد الهادي واشراف مصلحة الاستخبارات السرية من خلال السير تشارلز تيجرت نفسه بهدف اشعال نار صدامات داخلية أهلية لاضعاف الثورة وتعبئة الفلاحين والعمال ضدها وتشويه سمعتها في الداخل والخارج واظهارها بمظهر غير ثوري (٦١). وقد استهلت

---

(٥٧) دروزة ، المصدر السابق ، ص ٢١٠ .

(58) Haining's Report, 24.8.38,CO 733/379/75528/74/38.

(59) Bethell , op.cit, p.37.

(60) Tegart Papers,Box II ,File IV,DS 126-2.

(٦١) عارف العارف ، يوميات غزة ١٩٣٩-١٩٤٠ ، ص ٢٦٠ ايضا ، كامل خله ، المصدر السابق ، ص ٦٠.

تلك الفصائل نشاطها بقيام فخرى النشاشيبي بشن حملة اعلامية شرسة ضد قادة الثورة من خلال الجرائد والاجتماعات الجماهيرية ،وقيام فخرى عبدالهادى بتقديم طلب رسمي صريح للسلطات البريطانية من أجل الحصول على السلاح لضرب الثورة في منطقة عرابة التي تتواجد فيها جماعته (٦٢).

وقد نجحت تلك الفصائل الى حد كبير في ايقاع خسائر كبيرة في صفوف الثوار ،وكذلك في جرهم الى معارك جانبية أبعدت الثورة عن ميدان نضالها الرئيسي ،وذلك بمهاجمة القرى المؤيدة للثورة أو حتى المتعاطفة معها اضافة الى مهاجمة الثوار أنفسهم (٦٣)،كما طالب فخرى النشاشيبي الجماهير صراحة بالعودة الى لبس الطربوش وترك "الكوفية والعقال "اللذان عممها الثوار كلباس وطني للجماهير (٦٤).كما حاول فخرى عبد الهادى بناء "علاقة حسنة " بين عرب جنين ـ عرابة وبين اليهود في مرج بن عامر كي يتمكن وأتباعه من ايجاد سوق لتصريف انتاجهم الزراعي الذى قاطعه الوطنيون العرب (٦٥)،وقد ساهمت تلك الفصائل في دفع الثوار الى مناطق مكشوفة سهلت على القوات البريطانية عملية مطاردتها وتطويقها وعرقلة تحركها ، مما أثر تأثيرا كبيرا على معنوياتها (٦٦).

وقد وصف عارف العارف في يومياته في غزة فخرى النشاشيبي بأنه رمز اللاوطنية في تلك الايام (٦٧)حيث أنه أضافة الى ما قام به من خيانة كان يحرض الحكومة على الوطنيين لوضعهم في السجن،ثم يحصل على رشاوى لاخراجهم منه معتقدا أنه بذلك يكسب الكثير من الانصار في البلاد نتيجة للخدمات التي قدمها لاهل السجين (٦٨).فهو في رأى عارف العارف قد "قضى

(62) Haining's Papers, DS.126-2 and Haining'sReport,24.4.39. CO 733/404/75528/74/39.

(63) Porath, op.cit.,pp.253-256.

(٦٤) عارف العارف ،المصدر السابق ،ص ١٧٦-١٧٧.

(٦٥) عارف العارف ،المصدر السابق ،ص ١٤١.

(66) Bowden , op.cit.,p.248.

(٦٧) عارف العارف ،المصدر السابق ،ص ٢٦٠.

(٦٨) عارف العارف ،المصدر السابق ،ص ٢٧٦ .

على الحركة الوطنية في البلاد ،وساهم في اخماد الثورة التي كانت ترمي الى انقاذ فلسطين من براثن الاستعمار والانجليز والصهيونية "(٦٩) .

وبذلك يكون السير تشارلز تيجرت قد حقق من خلال ممارسات تلك الفصائل والخدمات التي قدمتها للسلطات البريطانية نجاحا أكبر بكثير من ذلك الذى حققه من انشاء السور الحديدى (Tegart Wall)على طول الحدود الشمالية ،فقد نجح الى حد كبير في عزل الثورة عن جماهيرها في الداخل ،بعد أن فشل تقريبا في عزلها بواسطة شريط شائك على الحدود . وبذلك تكون السلطة البريطانية بتأييدها المطلق للثورة المضادة مستغلة بذلك عمليات الاغتيال المتبادلة والتي ذهب ضحيتها الكثير من الابرياء قد نجحت في خلق انشقاق حاد وواضح بين جماهير الشعب الفلسطيني المؤيدة للثورة مما أثر تأثيرا كبيرا على مسيرتها ، وبالتالي اخمادها في النهاية .

اضافة الى كل ما تقدم لا بد من ذكر دور المنظمات الصهيونية المسلحة في ضرب الثورة ووقوفها الفعال كشريك كامل الى جانب القوات البريطانية الغازية .

فقد شارك اليهود منذ البداية في احداث ثورة ١٩٣٦ـ١٩٣٩ ،كما ذكرنا سابقا عندما قامت منظمة الهاجاناة باغتيال عاملين عربيين بالقرب من مستوطنة بتاح تكفا (ملبس)،يوم ١٩٣٦/٤/١٧ .وقد ساهمت السلطات البريطانية في انشاء وتطوير ودعم المنظمات الصهيونية

---

(٦٩) عارف العارف ، المصدر السابق ، ص ٢٦٠ .

المسلحة مساهمة فعالة . فهي التي أمرت بانشاء (شرطة المستعمرات اليهودية) (Jewish Settlement Police) على نفقة الحكومة والتي نظمت من قوات ثلاثة:

القوات المتنقلة : ومهمتها القيام بأعمال الحراسة المحلية.

وقوات الشرطة الخاصة للطوارئ، وقوات متنقلة ، مهمتها حماية المستعمرات ونصب الكمائن للثوار العرب وشن الغارات عليهم (٧٠). هذا بالاضافة الى التعاون الوثيق بين الهاجاناه والمخابرات الليلية الخاصة والتي وصلت الى حد القيام بعمليات مشتركة ضد الثوار في منطقة الجليل حيث وصلت الى ذروتها في عام ١٩٣٨ باشراف الكابتن وينجيت . وفي العام ١٩٣٨، ونتيجة للضغط المتزايد على الثوار المتمركزين في المناطق الجبلية من قبل القوات البريطانية ، التجأ الثوار الى المدن حيث هاجموا الكثير من الاهداف اليهودية مما أدى الى قيام منظمة الارجون الصهيونية (Irgun) بارتكاب عمليات ارهابية دموية ضد العرب وصلت الى ذروتها بزرع وتفجير قنابل عدة في الاسواق العربية في كل من حيفا ويافا والقدس وشن هجمات دون تمييز ضد العرب الذين سلكوا الطرق القريبة من المستوطنات اليهودية (٧١). وقد وصل عدد أفراد قوات الهاجاناه عام ١٩٣٧ الى ٢١ ألف منهم ٤ آلاف امرأة مسلحين بـ ١٤٢٣٠ قطعة سلاح مختلفة (٧٢). عمل منهم ستة آلاف في صفوف القوات البريطانية التي أعادت احتلال فلسطين . أما عدد القتلى من اليهود خلال الثورة فقد بلغ ٤٩٥ يهوديا من ضمنهم ٨٠ شخصا قتلوا عام ١٩٣٦ (٧٣).

أما على الصعيد الاقتصادي فقد استغل اليهود أحداث الثورة بتوطيد الوطن القومي اقتصاديا واجتماعيا كما قاموا بانشاء العديد من المستعمرات الزراعية ذات الاهمية الاستراتيجية

---

(70) Allon,Y., The Making Of Israel's Army,(London 1971),p.20.

(71) Porath,op.cit.,p.238. And, Marlowe, op.cit,p.200.

(٧٢) تاريخ الهاجاناه ، ص ٧٣٣ .

(٧٣) تاريخ الهاجاناه ، ص ٦٥٠ ، ٨٩١ .

من الناحية العسكرية، حيث انتشرت من الشمال حتى النقب في الجنوب • وقد بلغ عدد المستعمرات التي تم انشاؤها على هذا الاساس في الفترة بين ١٩٣٦ - ١٩٣٩ ، ٥٥ مستعمرة تميزت جميعها بمظهرين الحائط الذى يطوقها وبرج المراقبة القائم في وسطها • وكان الهدف من ذلك العمل على تحويلها الى معسكر حربي (٧٤) •

وهكذا ، ونتيجة لهذه العوامل ازداد الضغط على الثوار مما اضطرهم للعمل في مناطق مفتوحة أو مكشوفة وممارسة نشاطهم في المدن حيث أصبحت أكثر أمنا بالمقارنة مع تلك المناطق المكشوفة التي تحاول القوات البريطانية استدراجهم اليها لخوض المعركة عليها •

وقد نجح كما بيّنا سابقا الثوار يوم ١٩٣٨/١/٩ بالاغارة على مدينة بئر السبع وفي يوم ١٩٣٨/١٠/٣ على مدينة طبريا لمدة ستة ساعات كاملة كما سيطروا تماما على مدينة القدس لمدة تسعة أيام ابتداء من يوم ١٩٣٨/١٠/١٧ حيث لم تتمكن السلطة من استعادة السيطرة على المدينة الا بعد تدخل الفرقة السابعة مشاة • هذا ، وقبل ان تتمكن القوات البريطانية من "اعادة احتلال" فلسطين كان عليها حشد قوات ضخمة بلغ مجموعها يوم ١٩٣٨/١٠/٣١ ١٨ كتيبة مشاة وفوجين من الخيالة وفوج مدرع ، وطيارة مدفعية وهو التشكيل الذى تكونت منه الفرقتان السابعة والثامنة مشاة بالاضافة الى سربين قاذفين وسرب مقاتل آخر من الطائرات وسريتين مدرعتين (٧٥) وقوات الحدود الاردنية التي بلغ عددها ١١٧٧ (٧٦) ، أى بما يزيد على ٢٠ ألفا من الجنود يعاونها قوات البوليس ، والتي بلغت ٤٣٥٤ (٧٧) • بالاضافة الى ستة آلاف مجند صهيوني تابعين لمنظمة الهاجاناه (٧٨) •

(٧٤) خلف ، المصدر السابق ، ص ٤٢٣ •

(75) Haining's Report, 31.12.38, CO733/379/75528/74/38.

(76) Report On Palestine & Trans-Jordan, 1938, p.115.

(77) Report On Palestine & Trans-Jordan, 1938, p.110.

(٧٨) كيالي ، المصدر السابق ، ص ٣٤٨ •

الفصـــــل الســـــادس

خـــــلاصـة وتقييـــــــم

يتضح مما تقدم أن القوات البريطانية ، تمكنت من إخماد الثورة ، واستعادة السيطرة على البلاد ، بعد أكثر من ثلاث سنوات ، حين نجحت في استرداد زمام المبادرة كليـــا من أيدى الثوار ، بعدما أصبح ميزان القوى يميل بشكل خطير الى جانبها منذ خريف عـام ١٩٣٨ . وقد مرت الثورة الفلسطينية ، التي اشتعلت ، في شهر نيسان (ابريل)عام ١٩٣٦ بمراحـل ثلاثـة :

أولا : اعلان الاضراب العام ، مصحوبا بصدامات واسعة ، عفوية في المدن ، وبعض العمليات العسكرية في الضواحي ، وجهت أساسا ضد اليهود . وقد تبنت القوات البريطانيـة خلال تلك الفترة استراتيجية عسكرية دفاعية صرفة ، وحتى وقف الاضراب يوم ١٢ تشريـن أول (اكتوبر) من العام نفسه . وقد مثل الاضراب الكبير مرحلة المقدمة السياسيـة للثورة ، استغلها بعض المناضلين الوطنيين ، من رفاق الشيخ عز الدين القسـام ، وغيرهم ، في محاولة منهم لتعبئة وتنظيم فصائل عسكرية محلية ، تكونت غالبيتها مـن الفلاحين الفلسطينيين ، الذين فقدوا ممتلكاتهم تقريبا بهدف شن حرب عصابـات ، ضد القوات البريطانية والمنظمات الصهيونية على السواء . وذلك في غياب الخط العـام النظرى للثورة ، والذى يفترض أن يتم بعد اجراء عملية فرز وطنية شاملة ، يتم فيهـا تحديد العدو من الصديق ، والجماهير صاحبة المصلحة الحقيقية في انتصار الثـورة والمستعدة للسير فيها حتى النهاية ، والقيادة السياسية والعسكرية الوطنية الواعيـة الفعالـة التي تستطيع قيادة تلك الجماهير حتى تحقيق أهدافها .

وقد كان واضحا منذ البداية ، أن جماهير الفلاحين الذين لم يتبق لهم شيئا يخسروه سوى تعاستهم ، كانوا أول المبادرين في رفع راية الكفاح المسلح عاليا ، ومواجهـة قوات " الامبراطورية البريطانية " مستخدمين كل ما استطاعت ايديهم الوصول اليـه مـن

الاسلحة ، بما فيها العصي والحجارة . ولا يمكن لأى دارس لتلك الفترة الا ويشعر بالتقدير والاعجاب لروح التحدى والشجاعة ، التي اتصف بها هؤلاء الفلاحين ، وخاصة اذا عرفنا مدى ما مثلته بريطانيا العظمى من قوة وهيبة عالميتين . ولكن الاضراب توقف في النهاية ، بعد حشد أكثر من عشرين ألف جندى يمثلون مختلف أسلحة الجيش البريطاني قبل حدوث اشتباك واسع النطاق ، وبعد تدخل الملوك والأمراء العرب .

وقد اكتسب الثوار خلال تلك الفترة تجربة عسكرية ، لا بأس بها ، وخاصة فيما يتعلق بالتدريب والتكتيك ، وأصبح لديهم تصورا نظريا لقوانين وادارة حرب العصابات ، كما بدا واضحا أن درجة الوعي قد ارتفعت لديهم الى حد كبير . وقد ظهر ذلك جليا في رفضهم القاء سلاحهم وتصميمهم على الاحتفاظ به حتى تحقيق مطالبهم الوطنية .

وثانيا : مرحلة العمل الثورى المنظم من عام ١٩٣٧ حتى عام ١٩٣٨ ، والذى وجه أساسا ضد القوات البريطانية والبوليس والأهداف الاقتصادية . وخلال هذه الفترة ، ازداد وضح التناقض القائم بين أطراف الصراع ، وخاصة بعدما أوصت لجنة بيل ، بعد نشر تقريرها في خريف عام ١٩٣٧ ، بتقسيم البلاد الى منطقتين واحدة عربية وأخرى يهودية . كما انتقل معظم النشاط العسكرى خلال الفترة المذكورة من المدن الى الجبال ، حيث السلطة أضعف ، وحيث توجد المناطق الاكثر ملائمة لشن حرب العصابات . وقد وصلت الثورة خلالها الى ذروة قوتها وتنظيمها ، كما حققت العديد من الانتصارات التكتيكية في معارك هجومية ودفاعية جريئة . ونجحت كذلك في السيطرة على بعض المدن لفترة من الوقت .

وثالثا : مرحلة تراجع الثورة والتجائها الى المدن في أواخر عام ١٩٣٨ وحتى إخماد الثورة عام ١٩٣٩ ، تحت ضغط القوات البريطانية ، بعد تبنيها استراتيجية هجومية أكثر شمولا ، حشدت خلالها قوات برية وجوية ضخمة . كما نجحت السلطة في شق الصف الوطني وتفتيت الجبهة الداخلية ، وبالتالي تمكنت من عزل الثورة عن جماهيرها

واخمادها في النهاية ،وقد كان واضحا من الاساس استحالة تحقيق نصر عسكري ساحق على القوات البريطانية ،وخاصة أن الثوار لم يعتقدوا أبدا بأمكانية تحقيق هذا الهدف لأسباب تتعلق بالامكانات وميزان القوى الذي كان يميل من ناحية العدد وقوة النيران بنسبة ١:٢٠ الى جانب البريطانيين وحلفائهم ،وقد ترافق ذلك مع غياب الاستراتيجية العسكرية ،وعدم توفر الامكانيات الفعالة ،أضافة الى غياب القيادة العسكرية السياسية الموحدة ،وعدم ملائمة الوضع الدولي ،نظرا لما مثله الاستعمار من هيمنة على العلاقات الدولية في تلك الفترة من الزمن. وعلى الرغم من كل ذلك ،حققت الثورة هدفا أساسيا مرحليا ،من الاهداف التي ناضلت من أجل تحقيقها ،بموافقة بريطانيا في مؤتمر سانت جميس (St.James)بلندن عام ١٩٣٩ ،على الحد من عدد المهاجرين اليهود خلال فترة انتقالية مدتها عشر سنوات أضافة الى الحد من عمليات بيع الاراضي لهم يعقبها ايقاف كامل للهجرة الى البلاد الا في حال موافقة العرب أنفسهم ،وهذا يعني صراحة فشل مشروع التقسيم الذي أوصت به اللجنة الملكية عام ١٩٣٧ ، والذي كان السبب المباشر في أندلاع الثورة في خريف العام المذكور.

ومن النتائج الهامة للثورة كشفها القيادات الرجعية المحلية ،والانظمة العربية المحيطة بفلسطين وزيادة تدخلها في الشؤون الفلسطينية بعدما أصبحت هناك قضية ذات أهمية بالغة ،أضافة الى كشفها عن الحلف الامبريالي الصهيوني في المنطقة ،والذي ترك بصماته على تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية والعربية بصورة أوضح منذ عام ١٩٣٦ وحتى يومنا هذا .

وأخيرا لا يمكن انكار حقيقة كون الثورة العربية الكبرى في فلسطين ،قد قدمت نموذجا رائعا للتحدي والشجاعة أفادت تجربتها النضالية الفريدة ،الثورة الفلسطينية الحالية بالكثير من الدروس لعل أهمها ضرورة التمسك بقاعدة خلفية لتكون بمثابة ضمانة أكيدة لاستمرارها ، نظرا لصعوبة الاحتفاظ بقواعد عسكرية ثابته مدة طويلة في مناطق فلسطين المختلفة في الوقت الذي يميل فيه ميزان القوى بشكل خطير الى جانب العدو.

أما فيما يتعلق باليهود ، فقد استغلوا تلك الفترة الى الحد الأقصى ، بقيامهم ببناء مؤسسات دولة بديلة كاملة ، اعتمدت أساسا على قاعدة عسكرية واقتصادية متينة نسبيا ، بحيث لعبت دورا حاسما في تقرير مستقبل فلسطين ، في فترة لاحقة ، في غياب المؤسسات الفلسطينية ، وخاصة العسكرية منها ، بعد استشهاد وتشتيت العديد من قادة وأبناء البلاد ، والذين يفترض قيامهم بواجب الدفاع عنها بعد قيام الاستعمار البريطاني بتسليمها للصهيونية في عام ١٩٤٨ .

مصـــادر البحـــث

اولا : المصـادر الانجليزيـة :-

Archives:

- Public Record Office, London.

Correspondence Files Of The War Office(1936-1939),Air Ministry (1936-39)And Colonial Office(1936-1939)Relating To Palestine.

- British Government Publications.

- Great Britain,Parliamentary Papers,CMD.1499:An Interim Report On The Civil Adminstration Of Palestine During The Period 1st July,1920-30th June,1921,London:H.M.S.O,1921.

- Great Britain.CMD.5479:Report Of The Palestine Royal Commission (Peel)London:H.M.S.O,1937.

- Great Britain,Colonial Office,Report By His Majesty's Government In The United Kingdom Of Great Britain And Northern Ireland To The Council Of The League Of Nations On The Administration Of Palestine And Trans-Jordan,1936-1938.Colonial,Numbers 129,146,166,London:H.M.S.O,1937-1939.

Private Papers Collection:

Arif Al-Arif,Gaza Diary 1939-1940 (Middle East Centre, St.Antony's College , Oxford).

General Robert Haining,(Middle East Centre,St.Antony's College,Oxford).

Sir C. Tegart, (Middle East Centre,St.Antony's College,Oxford).

Palestine Government Publications:

Government Of Palestine :A Survey Of Palestine Prepared

In December 1945 And January 1946,For The Anglo American Commission Of Inquiry,2 Vols.

Books :

- Allon, Y., The Making Of Israel's Army,(London 1971).
- Antonius, G., The Arab Awakening ,(Beirut 1969).
- Barbour, N., Nisi Dominus,(Beirut 1969).
- Bentwitch,N., Legislation Of Palestine 1918-1925.2 Vols, (Alexandria 1926).
- Bentwitch,N., England In Palestine,(London 1932).
- Bethell, N., The Palestine Triangle:The Struggle For The Holy Land,(New York 1979).
- Bowden, T., The Breakdown Of Public Security:The Case Of Ireland 1916-1921 And Palestine 1936-1939, (London1977).
- Cohen, M., Palestine Retreat From The Mandate:The Making Of The British Policy 1936-45,(London 1978).
- Great Britain And Palestine, Information Papers,1915-1945, (New York 1946).
- Hirst, D., The Gun And The Olive Branch,(London 1977).
- Howard, M., The Mediterranean Strategy Of The Second World War,(London 1966).
- John,R.,& Hidawi,S.,eds.,Palestine Diary 1914-1945,(Beirut 1970).
- Lesch, A.M., Arab Politics In Palestine 1917-1939 The Frustration Of A Nationalist Movement,(London 1979).
- Marlowe, J., Rebellion In Palestine,(London 1946).
- Marlowe, J., Seat Of Pilate,(London 1959).

- Porath, Y ., The Emergence Of The Palestinian Arab National Movement 1918-1929,(London 1974).

- Porath, Y ., The Palestinian Arab National Movement :From Riots To Rebellion 1929-1939,(London 1977) .

- Sallin, T.,& Young, D., The Annals Of The American Academy Of Political And Social Science Palestine: A Decade Of Development,Vol,164,(Phil a delphia 1932).

- Sidebotham,H., England And Palestine,(London 1918).

- Sidebotham,H., Great Britain And Palestine,(London 1937).

- Stein , L., The Balfour Declaration,(New York 1961).

- Storrs, R., Memoirs:Orientation,(London 1937).

- Sykes, C., Orde Wingate,(London 1959).

- Sykes, C., CrossroadsTo Israel:Palestine From Balfour To Bevin,(London 1965).

- Tse Tung,M., Six Essays On Military Affairs,(Peking 1972).

- Weinstock,N.,Zionism :False Messiah,(London 1979).

- Journals:

- Islamic Quarterly, 23(1980).

- Jewish Chronicle, (June 4,1937).

- Middle Eastern Studies, 6(1970)& 7(1971).

ثانيا : المصادر العربية

وثائق :

- وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩١٨ـ١٩٣٩ : من أوراق أكرم زعيتر ، اعداد بيان الحوت ،(بيروت ١٩٧٩) .
- وثائق المقاومه العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية ١٩١٨ـ١٩٣٩ ، جمع وتصنيف عبد الوهاب كيالي ،(بيروت ١٩٦٨) .

مذكرات :

- محمد عزة دروزة ،القضية الفلسطينية في مختلف مراحلها ،(صيدا ١٩٥٩) .
- منير الريس ،الكتاب الذهبي للثورات الوطنية في المشرق العربي :ثورة فلسطين عام ١٩٣٦ ، (دمشق ١٩٧٦) .
- اكرم زعيتر ،يوميات الحركة الوطنية الفلسطينية ١٩٣٥ـ١٩٣٩ ، (بيروت ١٩٨٠) .
- اميل الغوري ،فلسطين عبر ستين عاما ، (بيروت ١٩٧٣) .
- فلسطين في مذكرات القاوقجي ،اعداد خيرية قاسمية ، (بيروت ١٩٧٥) .

مراجع عامة :

- عمر ابو النصر ،جهاد فلسطين العربية ، (بيروت ١٩٣٦) .
- نبيل الاغا ،قضية فلسطين في سيرة بطل :الشهيد الحي عبد القادر الحسيني ، (بيروت ١٩٨٠) .
- حسن البدري ،الحرب في أرض السلام ، (القاهرة ١٩٧٦) .
- كامل خله ،فلسطين والانتداب البريطاني ١٩٢٢ـ١٩٣٩ ،(بيروت ١٩٧٤) .

ـ روبرت درايتون ،قوانين فلسطين ١٩٣٣ ، (القدس ١٩٣٦) .

ـ عيسى السفرى ،فلسطين العربية بين الانتداب والصهيونية ،(يافا ١٩٣٧) .

ـ محمد الشاعر ،الحرب الفدائية في فلسطين ، (بيروت ١٩٦٧) .

ـ احمد طربين ،فلسطين في خطط الصهيونية والاستعمار ،(القاهرة ١٩٧٠) .

ـ ناجي علوش ،المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ـ١٩٤٨ ، (بيروت ١٩٦٧) .

ـ خضر محفوظ ، تحت راية القاوقجي ، (سالمية ١٩٧٣) .

ـ الموسوعة العسكرية ،الجزء الاول ،تحرير المقدم الهيثم الايوبي ،(بيروت ١٩٧٧) .

ـ احسان النمر ،تاريخ نابلس والبلقاء ،جزء "٣" ، (نابلس ١٩٧٢) .

ـ يوسف هيكل ، القضية الفلسطينية ،تحليل ونقد ، (يافا ١٩٣٧) .

ـ صبحي ياسين ،الثورة العربية الكبرى في فلسطين ، (القاهرة ١٩٥٩) .

ـ صبحي ياسين ،حرب العصابات في فلسطين ، (القاهرة ١٩٦٧) .

ـ عبدالقادر ياسين ،كفاح الشعب الفلسطيني قبل العام ١٩٤٨ ،(بيروت ١٩٧٥) .

الدوريات:

ـ شؤون فلسطينية ،بيروت (أذار ١٩٧١ ،كانون ثاني ١٩٧٢) .

ـ الطليعة ،القاهرة (١٩٧١) .

ـ فلسطين ، اصدار الهيئة العربية العليا ـ بيروت (١٩٦١ـ١٩٧٤) .

ـ قضايا عربية ،بيروت (تشرين ثاني ١٩٧٩) .

ـ الكاتب ،القاهرة (حزيران ١٩٧١) .

مقابلات شخصية :

أجرى الباحث مقابلات شخصية مع كل من :ـ

ـ السيد / صالح النصر (قائد فصيل في المنطقة الشمالية)

ـ السيد / محمد عبد موسى (عضو قيادة المنطقة الشمالية) .

ثالثا : المصادر العبرية:

- Sefer Toldot Ha Haganah(The History Of The Haganah),Vol., 2,Part 2. (Tel Aviv 1959).